

رواية

حكاية ولد

محمدي سليمان

الطبعة الأولى
الكتاب : حكاية ولد
المؤلف : مصطفى سليمان
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس : ٢٠ × ١٤
رقم الإيداع : ٢٠١٥ / ٣٦٤٠
الترقيم الدولي : 6 - 041 - 776 - 977 - 978

التجهيزات الفنية والطباعة
دار يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع
طباعة وتوزيع الكتب في جميع أنحاء العالم
المطبعة : ٣٨ ش ضياء - الهرم - الجيزة
المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة
شارع الملك فيصل - الجيزة
جمهورية مصر العربية
٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩
تصميم و إخراج : أحمد عبد الحليم
رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

إهداء

إلى الصديق

حسن بدار

I

اكتشفتُ إن الكراسة مازالت في يدي أفتحها، خط
حسن، جُمْلُ مصححة، رسومات متفرقة، اقرأ الكراسة
على مهل.

(١)

صوت جدتي يرن في رأسي وهي توقظني في الشتاء
البارد، أستلذ بالدفع تحت البطانية الصوف، رمادية
اللون، اشترتها من رمسيس - في جوار كوبري الليمون
- أتكور على نفسي دافعاً صوتها عني

— الفجر أذن

— طيب .. طيب

هكذا رددتُ عليها، أنعس للحظات طويلة، أعرف تماماً
أنها في هذه اللحظات.

تلتقط جلبابها الأسود من على المسمار المدقوق في قفا
باب الحجرة، لا تنس طرحتها من نفس اللون، تهبط
السلم، أراها تسير الآن في الشارع لا تبالي بنباح الكلاب
المتواصل، الذي أخافه كثيراً، تشتري الأرغفة - من
الفرن البلدي بعد شارعنا بثلاثة شوارع - تضعها على
رأسها، تحمل في يدها زجاجة حليب مرسوم عليها
صورة كليوباترا بخطوط زرقاء وسداده من معدن رقيق

من نفس اللون ، في اليد الأخرى " سلطانية " زبادي من
الفخار بنية اللون، طبق الفول يستقر فوق السلطانية.

توقظني وهي ترص كل هذه الأشياء على الطبلية

— أنت لسه نايم

تبلى يدها بالماء ، تمسح النوم عن عيني بكفها، تجلسني
في حجرها، علي صوت " وابور الجاز " بعينين نصف
مغمضتين، نصف يستلذ بالنوم ونصف آخر يشتاق لطعم
الفول، براد الشاي يستقر فوق الوابور، تمد يدها بلقمة
مبللة بالفول لفمي، يشمها أنفي، أفتح فمي قليلاً

— أنت لسه صغير يا ولد ... قوم أنت بقيت رجل.

تدحرجني من على حجرها، أتمدد على الأرض، أتوسد
فخذها، امضغ اللقمة ببطء، يدها تضع الشاي الناشف في
البراد ،الساكن في جوارها على الأرض في تلك اللحظة،
ثم تضعه بحذر ليغلي نصف غلوة مرددة

— الشاي المغلي يهري الكبد

تسند ظهري للحائط، تصب قليلاً من الشاي في كوب
زجاجي مكتوب في قاعه " يس " تصبر قليلاً حتى يتشبع
الكوب بالبخار والملقعة الألومنيوم مستقرة في جوفه،
تردد

— علشان الكوباية ما تطقش

ثم تضيف اللبن، أمد يدي للكوب

— سُخن يا ستي

— قم أتوضأ وصلي يكون برد شوية

الحمام على بعد خطوات، أسير في الصالة الباردة
متحسناً الجدران رمادية اللون، تتحسس أصابعي باب
الحجرة الثانية، التي تربى فيها جدتي طيورها من فراخ
وبط، أصل إلى باب الحمام، أقعد القرفصاء على قاعدة
الحمام البلدي أقضي حاجتي، استنجا، أغسل يدي على
الحوض بقطعة صابون نابلسي شاهين مكعبة الحجم،
أحركها في حرص، حتى لا تتزلق من يدي وتقع علي
الأرض ثم تتدحرج إلى الحمام، فاضطر لإخبار جدتي

— الصابونة وقعت في عين الحمام

تلسعني بالخيزرانة لسعتين أو ثلاثة، تسكب كثيراً من الماء حتى لا ينسد الحمام وتجنباً للسدد قطعت جدتي الصابون إلى أربع أجزاء، أفرغ من الوضوء، أسناني تصر من برودة الماء، أجري إليها، تلف وجهي بالمنشفة

— هتبقى رجل أمته؟

أرتدي البنطلون من نفس لون المريلة "بيج" من قماش تيل نادية ، أراجع الجدول خوفاً من سن مسطرة الأستاذ (علوي) أرتدي حذاء الكاوتش ، اشترته جدتي بأربعين قرشاً تقريباً من محل باتا في ميدان الجيزة ، فلا أمل لي في شراء حذاء جلد إلا في العيد الصغير ، أيام العيد وتضعه في كرتونته البيضاء حتى العيد الكبير أو زيارة هامة— مع أننا لا نزور إلا قبر أُمي — شارعنا ليس فيه سوى خمس بيوت في صفنا وبيتين في الصف المقابل والباقي أراضي خالية ، لا أعرف في الدنيا سوى جدتي ، أما باقي أيام السنة أرتدي حذائي الكاوتش بلون أبيض أو بني ، أحب الكاوتش ذو اللون الأبيض ، على ضوء النهار النافذ من الشباك ، أخرج القلم الأحمر الجاف

والأزرق ، أكتب اسمي على الحذاء ، أرسم وجهاً لبنت
لأميز حذائي عن أحذية اصحابي ، التي تتكوم بجانب
حجر هو عارضة الجون في الشارع المقابل للمدرسة ،
حين تداهمني جدتي ، ألتقط حذائي بسرعة الصاروخ ،
الحقيبة أتركها لجدتي ، أصل إلى البيت ، أعرف أن
الخيزرانة معها تخفيها تحت جلبابها ، اختبئ تحت
سريرها الأسود المرفوع عن الأرض بطوبتين تحت كل
ساق حتى تضع سحارتها أسفله ، وكرتونة لا أعرف ما
فيها ، فور دخولها اتصنع البكاء ، اتوسل إليها ألا
تضربني — أحيانا كنت أبكي بجد — فإذا قررت أن
تلسعني ، أحرك الكرتونة شمالاً ويميناً لتجنب
الضربات. أرتشف الرشفة الأخيرة من الشاي ، تنام
أصابعي في يدها ، الظلام يبلع السلم في جوفه ، نهبطه
بحذر ، جدتي تستعد بالله من الشيطان الرجيم حتى لا نفع
— السلم بدون درابزين — حتى الدور " اللي تحتها "
سكان الشقة مسافرون طول السنة ، البيت من طابقين لا
أحد فيه غيرنا أما المعلم سيد صاحبه يسكن في بيت
كبير جداً عند أول الشارع ، له عيال كثيرة وثلاث
زوجات ، يزوم كلب ، تهشه زاعقة

— ما تخافش منه

أمسك بقوة في جلبابها

— الكلب ماشي ورانا

لا ترد علىّ وتستمر في المشي، بعد بيت المعلم سيد، نجد "قنايا" صغير تروي الأراضي المزروعة بعد شارعنا بخمس شوارع، بداية الأراضي الزراعية هناك، نسير حتى الشارع الرئيسي الموازي لترعة المجنونة - ترعة الزمر - علي جانبي الترعة شجر أم الشعور وشجر الكافور، نصل إلى المشتل، يقبع أمامه كلب ضخم، نسير فوق مواسير - جسر لعبور المشاة - بحذر خشيه أن نقع - ثم نعبر شريط القطار وأحياناً ننتظر مرور قطار البضائع ، فإذا طال انتظارنا نسير حتى نهاية القطار ونلف من خلفه ، تنهاني جدتي عن المرور بين عربات القطار خوفاً من سيره في أي لحظة، نسير في شوارع المهندسين - هناك مدرستي أنا وعدد قليل جداً من بولاق والباقي من المهندسين.

باب المدرسة موارد، قاعد في جواره عم (زكي) تمنحه
جدتي شهرية، يشير إلى عينيه، يوم اثنان ثم ينساني ولا
يعرفني إلا في آخر الشهر، يمسكني وأنا خارج

— قل لستك عم زكي يسلم عليك

ما علي الرسول إلا البلاغ.

يدق جرس الطابور، صوته مزعج جداً، أبص لعم زكي،
قصير القامة، ماسك طرف حبل طويل ينتهي بجرس
معدني بلون أخضر باهت، يهز يده يمينا يساراً ليسرع
مَن في الخارج للدخول قبل إغلاق الباب والوقوف مع
المتأخرين.

نقف صف بنين وصف بنات، أقف حسب طولي خوفاً من
عصا مدرس الألعاب، نؤدي تمارين الصباح، ننشد النشيد
الوطني بعد سماع الإذاعة المدرسية، نتحرك إلى الفصول
على إيقاع الايكورديون والطبل والاكسليفون

— قيام .. صباح الخير

— صباح النور يا أستاذ علوي

— جلوس

أقعد في جانب النافذة، أبص منها على الناس في الشارع .. طوال .. قصار .. بدناء .. نحفاء .. ثيابهم مختلفة وملونة، أحسدهم

— ما عندهم مدرسة

يجلس في جوارى (حمدنا) من أسوان أنا أطلقت عليه (شكولاتة) حريف كرة قدم، أنا وهو أحسن اثنين " يلعبو " كرة في الفصل، أبوه بواب عمارة في منتصف شارع جامعة الدول العربية، العمارة مكتوب عليها (البرج) أسأل نفسي أين جدتي الآن؟ .. يزعم الأستاذ

— بص هنا يا ولد أنت وهو

انتفض ، ترسم في رأسي صورة سن المسطرة نازل طالع على أصابع يدي ،نخرج كتب القراءة، كل واحد يقرأ سطرين أو ثلاثة أسطر والأستاذ في جواره، جاء دوري، قرأت سطرين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة . انتهت الصفحة، لا أعرف ما في الصفحة التالية، أتوقف عند أول كلمة نزل ضرب على دماغي

— هتتعلموا أمته يا بقر

أعرف إذا قلت لجديتي، ستأتي إلى المدرسة ويقول لها
علوي

— زفت .. زفت

تشرح له جديتي ظروفنا، فهي لا تملك ثمن الدرس
الخصوصي، يضع ساقاً على أخرى

— خلاص خليه يشتغل ميكانيكي ولا جزمجي

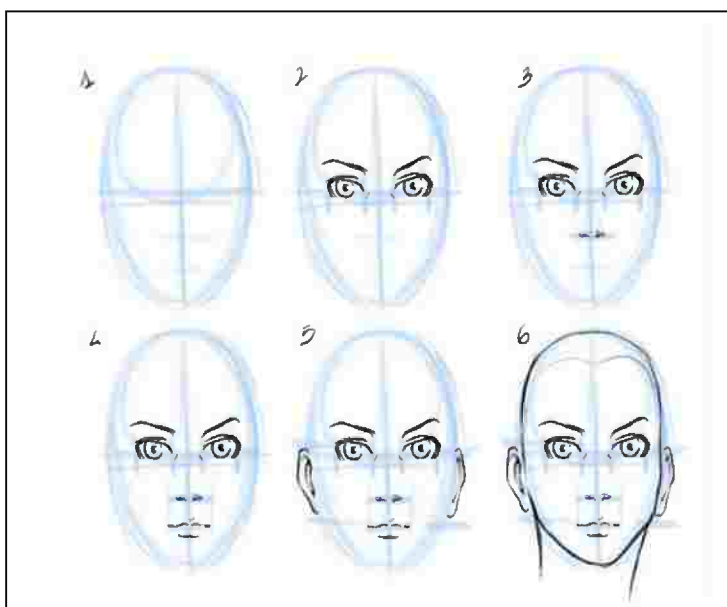
يحل عم (زكي) المشكلة، يتوسط لنا عند الحج (شوقي)
يُدرس لي في بيته بثلاث السعرة، مع كل هذا مازال الأستاذ
علوي يضربني.

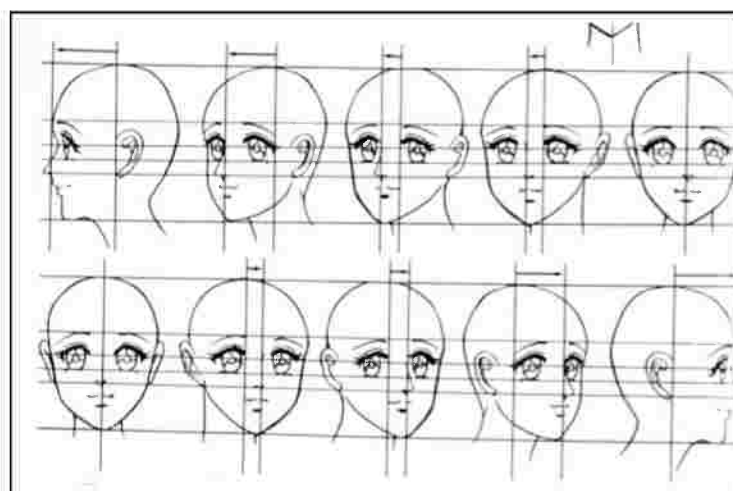
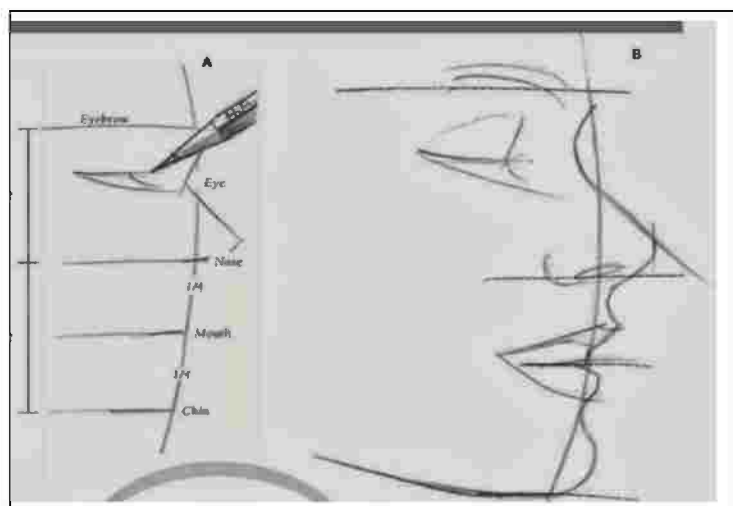
يدق جرس الفسحة، أخرج من حقيبتى كراسة الرسم،
أجري إلى حجرة التربية الفنية، هناك الأستاذ جمال ..
طويل .. كثيف الشعر مثل (شطّة) لاعب الكرة في نادي
الأهلي، يسألني عن أحوالي، أخبره ما جرى من الأستاذ
علوي في حصة القراءة، يربت على كتفي

— سنة وتعدي

يتصفح الرسومات، أخرج من جيبك قلم رصاص، "استيكا" يمسك بالقلم قائلاً

— بص يا حسن، علشان تعرف ترسم الوش كويس خلي بالك من المسافات . يعني المسافة من الأنف إلى الدقن نص المسافة من الأنف إلى الشعر ومن الأنف إلى كل ودن مسافة متساوية وبين العينين مسافة عين.





يطرق شكولاتة الباب

— يا أستاذ جمال، الأستاذ علوي يقول لك تعال أَلعب
كرة

سألني الأستاذ

— تلعب

أهز رأسي بالإيجاب، فور نزولنا إلى الفناء، اعترض
فريق الأستاذ (علوي)

— لا يا أستاذ، شكولاتة في فريق وحسن فريق ثاني

قال الأستاذ علوي

— هنغلبهم أنا معاكم ما تخافوش

بدأت المباراة بين فريق فصلي والفصل الرابع، سجل
الأستاذ (علوي) هدف، لعب الشيطان في دماغي، "مش
مهم النتيجة، المهم أدخل كوبري (خاروقه) في الأستاذ
علوي" نجح شكولاتة في تسجيل هدف التعادل ، قبل
جرس نهاية الفسحة بثواني ، نجحت في تمرير الكرة بين

"رجلين" علوي ثم تلوتها بركلة في مقص الجون ،
ليصيح كل المغتاطين من أستاذنا

— جون بخاروقه .. جون بخاروقه .. جون بخاروقه

فما كان من (علوي) إلا ركلي بقدمه (شلت) محترم،
طرت لأني نحيف جداً، اصطدمت رأسي بقائمة الجون،
أسقط على الأرض فاقد الوعي.

أفبق لأرى نفسي ممدداً على الكنبه في شقتنا العارية من
الأثاث.

كنبة بسحارة أنام عليها صيفاً و شتاءً ، في سحارتها
ملايسي ، تحرسها قطع من الصابون عليها مرتبه من
القطن ثم مشمع أسفل الملاية لحماية المرتبة من تبولي
الليلي ، الذي يصيبني في الليالي شديدة البرودة ، حين
أقارن في رأسي بين الذهاب إلى الحمام متعرضاً لعفاريت
حكايات جدتي ، اتخيلهم متناثرين علي الجدران واحداً
عند باب الشقة وآخر ملصق في السقف والثالث عند
الحوض ورابع يقضي حاجاته وخامس عند الفراخ
يحصي البيض ، ومهما ناديت علي جدتي لتحمل لي "
لمبة " الجاز فلا ترد ، فأتبول على مهل مستمتعاً بالدفء

وبعيداً عن شر العفاريت ، استيقظ علي لساعات الخيزرانة
وسبها لي " يا أبو شخة " فاشتريت لمبة سهراية ، تعلقها
على جدار الصالة ، الكنية أمام سرير جدتي ، سرير
بسوست ، يسع فرد واحد ، أحب "التنطيط" عليه في
غيابها ، فوق السرير صورة لأمي وصورة لعبد الناصر
، كل جدران الشقة علي " المحارة " تحتوي الصالة على
زير ، في جواره طست الغسيل والوابور وعند الجانب
الأخر الطبلية، بقرصها الخشبي المستدير وقوائمها
الأربعة ، مخصصة للغذاء أما الإفطار والعشاء ، على
الحصيرة في أرضية الحجرة ، أذاكر أيضا علي الطبلية
على طرفها لمبة جاز نمرة خمسة ، تشعل جدتي وابور
الجاز في الصالة حتى لا يزعجني دخانه ثم تدخل به إلى
الحجرة يسبقها وشيشة العالي ، تضع عليه صفيحة ممثلة
بالماء ليقتل البخار الساخن برد الشتاء ، في حجرتنا نافذة
واحدة تطل على الشارع ،أحضر كرسي الحمام لأبص
من النافذة ، هذا الكرسي القابع أسفل الحوض في الحمام
، تقعد عليه جدتي كل يوم خميس أمام طست الغسيل
النحاسي ، ترسلني لشراء " البوتاس " و الزهرة " وعلبه "
سافوا " بعدما أضع الكرسي أسفل قدمي أبص من الشباك
أكلم شوكلاتة أفيق علي خيزرانة جدتي لسعة خفيفة

— هتتزل زرع بصل

— آه .. آه

أتحسس رأسي الملتهبة من الألم ، تكشف جدتي رأسها وتدعو علي علوي ابن حواء وآدم أن يكسر ربنا رقبتَه وينام ما يقوم ، تقدم كوب الشاي للأستاذ جمال ، الذي حملني علي كتفه ثم استقل سيارة أجرة إلى مستشفى بولاق ، قطب الطبيب رأسي أربعة غرز وأرفق معها أجازة لمدة أسبوعين ، فرحت لهذا الخبر وهو ينتقل من شفتي الأستاذ جمال إلى أذن جدتي ،أسبوعان لن أصحو فيهما مبكرًا ولن أحمل الحقيبة المدرسية والأجمل من ذلك لن أذهب إلى شقة الأستاذ (شوقي) الذي يدرس لنا كل المواد ، فإذا أجبت بأسلوبه ضربني (علوي) وإذا أجبت بأسلوب (علوي) صرخ شوقي

— هو هيفهم أحسن مني

تمسح جدتي على شعري الناعم، تقبل جبيني

— إلهي ينشك في قلبه وتتقطع رجله ابن الكلب
المفتري، أنت قد ركبتَه

يرتشف (جمال) آخر رشفة في الكوب، يقدم لي كراسة

— دي كراسة جمعتها لك، أكتب كل يوم سطرين

— سطرين أية

— أي حاجة .. أقول لك .. أكتب اللي بيحصل لك ..

في الكراسة ورقة صفحة وصفحة ارسم فيها .. أنا
هأصح لك الكتابة والرسم، أنا ساكن قبلكم بثلاث
شوارع، مجرد ما تدخل من الشارع قول عاوز بيت الحج
أبو جمال، مليون واحد هيوصلك، أول ما تقدر تمشي
هات الكراسة وتعال.

يغادر شقتنا التي استأجرها أبي — رحمه الله — بثلاث
جنيهات في الشهر، قالت جدتي أنني ولدت فيها وأمي
ماتت هنا في حجرة الفراخ، تلك الحجرة الرطبة، شباكها
يطل على المنور، مغلق دائماً خوفاً من الفئران، يتسلل
صوت الراديو— القاعد فوق الرف المصق في جدار
الصالة — مسلسل الحرافيش، من نفس الراديو اسمع
برنامج ربات البيوت ومسلسل عائلة مرزوق أفندي
وبرنامج أبلة فضيلة

" يا ولا د .. يا ولا د .. تعالوا .. تعالوا .. نسمع أبله
فضيلة"

بعد الظهر برنامج علي فايق زغلول " الغلط فين "
يحملني الألم على النوم ، يوقظني العطش

— عطشان يا ستي

على ضوء اللمة السهاري، تتحسس جدتي خطواتها إلى
الزير تعود بكوب البلاستيك، تدير قرص اللمة نمرة
خمسة، أمسك الكوب أشرب نصفه، تضم رأسي لصدرها

— أحكي لي حدوته يا ستي

— كان يا ما كان وما يحلي الكلام إلا بذكر النبي عليه
الصلاة والسلام

أقاطعها

— ورحمة أمي يا ستي مش عاوز عفاريت، أنا بخاف
قوي لحسن تنسي تخلصي الحدوتة وتنامي ويفضل
العفريت قاعد معايا

— قاعد فين يا ولد

— قاعد هنا مكانك

— أنت شفته

— لا، أنا بستخبا تحت البطانية

— ما عفريت إلا بني آدم

— يا ستي .. دا كله أسود في أسود وعينيه حمرا زي
النار وضوافره حديد

— يا بني دي حواديت

— قول لي يا ستي هو أنت اتجوزتي

— أيوه، جدك كان رجل طيب وأمير، كان يخرج مع
طلوع الشمس، يزرع ويفلح في أرضه، على الظهر ألف
الغدا واروح به لحد الساقية، يتغدى، مع المغرب يرجع
البيت بيجر وراه جاموسته، يصلي المغرب، يخرج يسهر
مع صحابه و علشان ما أنزلش من الدور الفوقاني خرم
السقف من جنب السرير ونفذ حبل مربوط في السقاطه،

كان يخطط مرتين وبعدين يكح ويقول يا ساتر، اعرف انه
رجع أمد ايدي للحبل اشده، ترتفع السقاة ، يزق الباب
ويدخل

— طب يا ستي هي أمي مالهاش أخوات

تزفر قائلة

— النصيب يا بني .. قبل ما اتجوز جدك ، راح
لواحد شيخ وسأله اتجوز بنت عمي ، ولا بنت خالتي
ولا الغريبة .. قال له الشيخ اتجوز اللي مش من دمك ..
قتلوا جدك في ليلة غبرا ، ليلتها سمعت حركة في
الأوضة ، شفت رجل لافف وشه بتلفيحه ، صرخت أمام
الدولاب ضربني بالقلم ، إيده كانت ثقيلة وقعت علي
الأرض ، لما قمت كان هرب وكل أوراق أرض جدك
اختفت والدولاب مكسور ، استنيت جدك لحد الفجر ما
قال الله أكبر ، ما رجعتش ، خرجت أسأل عليه ، على
الضحى قالوا جدك مات في أرضه ، خرجت من البلد
وأمك في بطني ، رجعت لدار أبويا ، رفضت الجواز
وكل ما حد يسألني أقول ما فيش رجل بعد حسن

— هو جدي كان اسمه حسن

— آه اسمك على اسمه، احنا وصلنا لحد فين

— لحد ما قلتي ما فيش راجل بعد حسن

— ايوه، الله يفتح عليك وجت أمك في حلاوة أبوها،
الوش الأبيض المدور، العيون في لون البرسيم والشعر
في لون عيدان القمح

— أنا لون عنيا أيه؟

— سود زي لون عيون أبوك، الله يرحمه

— ليه عاوزا ربنا يرحمه

— علشان أمك حبته، أصل أبوك ده طول بعرض،
ترزي ما فيش زيه، بس بيحب النسوان، كان عنده عجله
يعدي على الدار، يضرب جرس العجلة، تجري أمك على
الشباك، عرفت أنها حبته، نزلت ضرب عليها " بالأنو "

— يطلع إيه الانو دا يا ستي

— فرع النخل اللي فيه البلح .. زي المقشدة كده ،
المهم صكرت الشباك بالمسامير ، بقت تنزل تقعد عند
باب الدار تستناه وهو رايح البندر ، كان له دكان هناك ،
قلت لها دا آخر رجل تتجوزيه ونزلت عليها ضرب ،
فضلت تعيط لحد ما نامت ، يومين تلاته قلت نسيت
الموضوع ، صحيت ما لقتهاش في الدار ، سألت على
دكانه في البندر ، قالوا باع كل حاجة وسافر لمصر ،
بعث القيراط اللي اشتريته بعد موت جدك ، ركبت القطار
، كنت فاكراه مصر صغيره ، ألفها في يومين تلاته ،
اليومين بقوا شهر واثنين ولا حس ولا خبر ، رجعت البلد
والحزن هيموتني و ...

(٢)

زهقت من قعدة البيت، على الظهر سمعت صوت
شكولاتة ينادي

— حسن .. يا حسن .. يا ح ١١١ سن

أحضر كرسي الحمام، أفف عليه، أبص من الشباك،
صوت جدتي

— يخرب بيتك هتقع ، فيه إيه

ألتفت إليها

— شكولاتة وانتين صاحبي من المدرسة معاه

— قل لهم يطلعوا .. انزل .. انزل من عندك

دقائق صعد فيها أصحابي أحمد وعلي وشكولاتة، اسألهم

— أنتم رحتوا المدرسة النهاردة

— لا، الأستاذ جمال قال نلم من الفصل ونجيب لك

هديه

أفتح الهدية

— كتب سلاح التلميذ

يتحدث علي

— الأستاذ جمال ده جدع، ركب رأسه واتخاى مع
الأستاذ علوي .. قام الناظر قال لعلوي يقعد في البيت
لحد ما التحقيق يخلص

— تحقيق إيه

أكمل علي الكلام

— باين ودوه النيابة علشان ضربك

دخلت ستي ومعاها ثلاث زجاجات سينالكو، سألتهم عن
المذاكرة، قالوا كله تمام، علم أحمد في كل كتاب على
الدروس اللي أخذوها وأنا قاعد في البيت، ربتت جدتي
على كتف شكولاتة

— أنت بقي شكولاتة

— أنا اسمي حمدنا وحسن هو اللي سماني شكولاتة

— أنت منين يا حمدنا

— من النوبة، بس دلوقت عايشين في أسوان

— عندك أخوات

— حذاشر أخ وأخت أنا أصغرهم

— كلهم هنا

— لا الصغار بس اللي هنا، الباقي هناك في البلد

— أبوك بيشغل إيه؟

— بواب عمارة البرج في المهندسين، ساكنين في

السطح، آخر دور، الدنيا من فوق حاجة تانية

أعدت جدتي الغدا، قعد أصحابي معي حتى آذان الظهر،

كنت سعيدا بزيارتهم وفرحان بالكتب الجديدة، كانت

جدتي حزينة، سألتها عن السبب فأجابت

— ما فيش .. قل لي هو ده صاحبك

— أيوه، دا حريف كره ولا بيبو .. بس ضعيف زي
حالاتي، أصل أبوه مش بيخليه يذاكر كثير، كل ما حد من
السكان يطلب حاجة ينزل هو أو حد من أخواته يشتريها،
ساعات أبوه يضرب أمه وياخد منها فلوس علشان يشتري
ربع زجاجة

— ربع زجاجة أيه .. زيت

اعتدل متكئاً على مرفقي

— لا يا ستي .. بيشرب ميه (قلتها كأني أخبرها سراً)

— يا حول الله، كلنا يا بني بنشرب ميه

— يووووه بيشرب خمرة

صوت أقدام تصعد السلم، تدفع رأسي بعيداً عنها

— مين اللي طالع

تساءلتُ جدتي في قلق، يدخل المعلم سيد ، عريض
الكتفين وطويل

— يا ساتر

— تفضل يا معلم، بينك ومطرحك

— معايا المعلم يوسف المقاول، علشان هأطلع بدورين
مرة واحدة

— ربنا يوسعها عليك يا معلم

يدخل المعلم يوسف، قصير، بطنه أكبر من البطيخ ، له
شارب كثيف، يسلم على جدتي، يواصل المعلم سيد الكلام

— إن شاء الله هتقعدى هنا لحد ما نخلص الدورين
وبعد كده هتطلعي لأخر دور، علشان ما ينفعشي تربى
فراخ وسط البيت، الدور الأرضي كله محلات، يبقى ما
فيش حل غير أنك تطلعي الدور الأخير

— ليه يا معلم، بينك وبين جوز بنتي " كونتراتو "

— مش ممكن تربى فراخ وبط وسط البيت

— يعني أربي الواد منين

يتدخل المعلم يوسف، يلف على رأسه عمامة، جسده غائب في جلباب، يطل سديري من تحته، أما المعلم سيد، لا شيء على رأسه، يرتدي بنطلون وقميص، له شارب حاد، يزين أصابعه بخواتم ذهبية، قال المعلم يوسف

— الحاجة حطلع للدور الأخير، بس ما تزودش الأجره وتكتب عقد باسمها

تقاطعه

— باسم حسن

يضحك المعلم يوسف قائلاً

— حسن صغير يا حاجة

— خلاص يا معلم يوسف أنا مش هأرد لك كلمة ..
بس السلم بيتعبنى وأنا ست كبيرة

يتحدث المعلم سيد

— ربنا يديك الصحة .. فيه ساكن جديد في الشارع
هو ومراته عرسان، أنا قلت لهم ياخذوا منك الفراخ
والبيض .

ينحني ويلتقط كراستي من على الأرض

— دا رسمك يا حسن

أهز رأسي

— والله ايدك تتلف في حرير بس لما تشب شوية
وعلشان خاطر رسمك وخاطرك هنمشي كلام المعلم
يوسف .. سلام عليكم

تدخل جدتي حجرة الطيور وأنا خلفها، نجمع البيض في
طبق بلاستيك اشترته يومًا من بائع الساكسونية " نخرج
بالطبق ممتلئ بالبيض .

في حجرتنا، تحضر علبة سمن صغيرة ممتلئة بالماء قالت

— أقعد افرز البيض .. تحط البيضه كده إن غطست "
في الميه تبقي سليمة، إذا عامت على وش الميه تبقي
فاسدة .

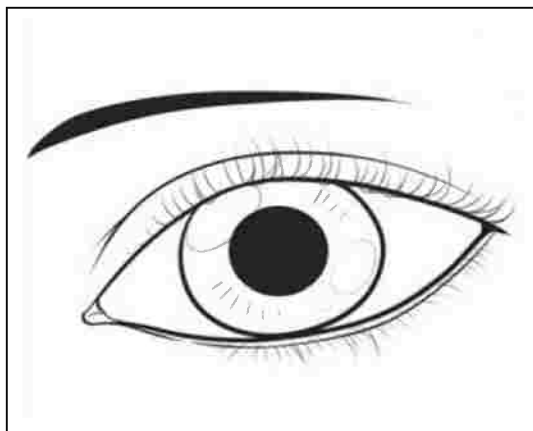
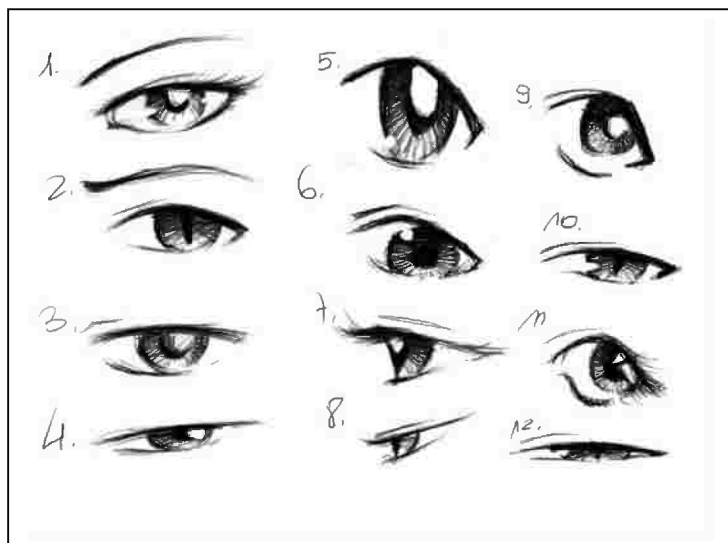
قعدت افرز البيض لحد العصر

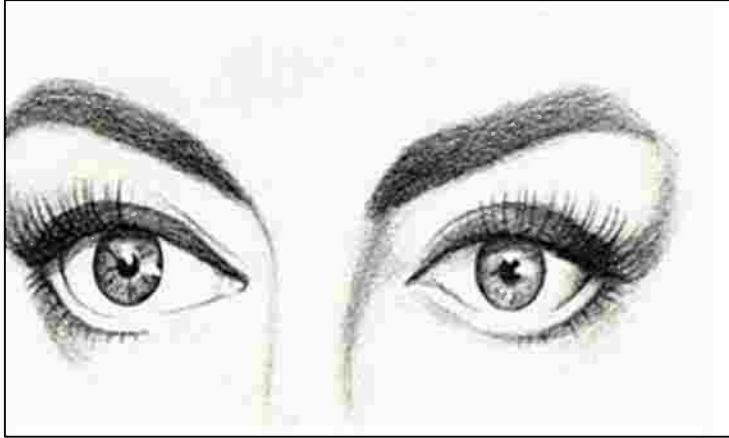
— ستي أنا رايع للأستاذ جمال

بيت الأستاذ جمال بعد شارعنا بثلاثة شوارع، يراجع لي القراءة، يسمع لي الدين، أصلي العصر خلف أبوه، أبوه عجوز مثل جدتي، خلفه الأستاذ جمال وأخاه وبعدهم، أمهم وأثنين ستات وبعدين أنا، نفرغ من الصلاة، يقعد جمال على الأرض، افتح الكراسية

— النهارده، المعلم سيد صاحب البيت جه ومعاها المعلم يوسف المكاول أنا كتبت كل كلمة قالوها

— خطك حلو .. بس كلمة "يبأ مالهاش حل" .. تكتب كده "يبقى مالهاش حل" أحنا المصريين ننطق القاف ألف يعني مثلا كلمة أل هي قال، وأأعد هي أقعد وأرف هي قرف .. نرجع للرسم يا حسن، احنا قلنا إن بين العينين عين، يعني المسافة بينها مسافة عين هأعلمك بالحساب لحد ايدك ما تحس المسافة العيون منها، عين ضيقين وعين واسعين وعين مسحوبين لفوق وعين خارجين لبره شويه بنسميهم عين جاحظين وعين غطسانين لجوه حبتين





بدأت ارسم معه وأمسح، أخيراً رسمتها صح، تدخل
إحدى المرأتين الصغيرتين — أخته — تحمل صينية فيها
كوب شاي لأخيها وكوب لبن لي، شكرتها، تتأمل رسمي
قائلة

— رسمه حلو يا جمال

يتناول كوب الشاي

— لو أهتم بالرسم هيبقى فنان كبير قبل ما يكمل
عشرين سنة ايده حساسة جداً عنده موهبة فذة

بصرّاحة اللبن عندهم طعمه حلو، عرفت أنهم يضعوا
عسلًا بدل السكر

صوت جدتي

— يا حسن .. يا حسن

صوت أبو جمال

— تفضلي يا حاجة

— الدنيا ضلّمت وخفت على الولد

بجوار باب البيت المكون من ثلاثة طوابق والد جمال
قاعد على كرسي من الخشب، يصحبني جمال إلى
الخارج، يصافحني

— أشوفك بعد بكرة يا حسن

أسير في جوار جدتي، عند أقرب ضوء متسلل من نافذه
أفتح الكرّاسة

— بصي يا ستي رسمت العينين إزاي

— رسمك حلو يا حسن

صوت جدتي

— أصحى يا حسن عشان نروح السوق

تحمل جدتي قفص الطيور على رأسها، طبق البيض في
يدها، أسير بجانبها

— ستي هو السوق بعيد

— هنعدي شريط القطر ونركب الاتوبيس لحد أم
المصريين

— ما تبعيه في سوق بولاق

— لا يا نور عيني، عشان ما حدش من صاحبك
يشوفك معايا وبعدين يزعلك في المدرسة

— أحنا مش بنعمل حاجة غلط

— أوبة بس فيه ناس مخها على قدها ، ناسيين أن
الدود مش بيميز

— دود إيه؟

— دود القبر مش بيميز بين الغني والفقير ولا باشا
ولا غفير

نقترب من المواسير، تسير جدتي في حذر وأنا خلفها
بخطوتين، ترحلقت، طار القفص ثم سقط في التربة
ووقعت جدتي أيضا وسبت البيض بالكاد أمسكت بعمود
يربط المواسير ببعضها، أصرخ

— ستي .. ستي .. ستي

قالت بصوت مخنوق

— روح عند المشتل وأنده أي حد يشدني، أجري
بسرعة ..

أجري والدموع تجري على خدي خوفاً أن تبلع
التربة جدتي، عند باب المشتل وقف كلب وبدأ يزوم،
أمسكت حجر وناديت، صوتي غرقان في الدموع

— يا عم .. يا عم يا للي هنا .. يا عم ستي وقعت
في الترة .. ستي هتغرق .. ستي هتغرق

الكلب بدأ النباح، يخرج رجل وزوجته من المشتل، يخلع
الرجل الجلباب ويقفز في الترة ليرفع جدتي، الكلب قفز
وراء صاحبه، قفص الفراخ غاص في الماء، أما زوجته
سارت على المواسير حتى حازت جدتي، قعدت، أنزلت
ساقها في الماء

— هاتي إيدك الثانية يا حابه .. واحده .. واحده

تشدها في حذر، تستند جدتي بيدها على الزوجة، ترتجف
من البرد، نسير حتى الكنية، التي أمام المشتل، على يمينه
حجرة من الخوص، على الشمال أصيص زرع، المكان
غرقان في رائحة جميلة، تحضر الزوجة بطانية قائلة

— يعوض عليك ربنا يا حابه ... ابنك

— لا، دا ابن بنتي، يمكن ربنا بعثكوا علشان خاطره

يسألني صاحب الكلب

— أنت خايف من الكلب (أهز رأسي بالإيجاب)
الكلب بيجري ورا الحرامي والجبان (أسند رأسي على
صدر جدتي المبتل بالماء) تعال يا شبل (يقترّب الكلب)،
(بخوف لمست أصابعي رأس الكلب فيزوم) وبعدين يا
شبل

يسكت الكلب ويقعد على الأرض باسطاً قدميه الأماميتين،
يستسلم ليدي التي تتحسس جسده، تقدم المرأة لجدتي كوب
شاي .

نرجع إلى البيت وجدتي حزينة، أخرجتُ من السحارة
جلباب أسود باهت، استبدلت ثيابها المبتلة، لملمت ما تبقى
من طيور دجاجتين وذكر بط وتركت دجاجتين وديك،
اتجهنا بعد صلاة الظهر إلى السوق، جلسنا على الرصيف
وذكر البط قاعد فوق قفص الطيور، بعد العصاري
تنفست جدتي كلمات

— افرجها يا كريم .. ولا قرش في البيت .. دبرها يا
رب .

مالت الشمس إلى الغروب، وضعت ذكر البط في القفص،
ثم حملته فوق رأسها، سرنا حتى ميدان الجيزة، قعدنا

على الرصيف في انتظار الأتوبيس، كلما مر أتوبيس
تسأل أحد الواقفين

— بيروح بولاق الدكرور

— لا يا حاجة

بعدها هبط الليل ركبنا الأتوبيس وكان مزدحمًا، الناس
تزعق على قفص الفراخ ورائحته، بعد ثلاث محطات
نزلنا فسألناها عن السبب

— دكر البط هيفطس

أخيراً شفت باب البيت، حطت القفص على الأرض،
صوت ينادي

— يا أم حسن .. يا أم حسن

تلفتت جدتي، فترى على ضوء البدر ونجومه سيدة،
تقترب منا

— أنا هويدا جارتكم .. أنا عاوزة منك فرخة شمورت

— أنا معايا دكر بط ووزة وفرختين عتاقي وديك .

تشتري الست هويدا ذكر البط

— تعرفي تدبحي يا حاجة

تضحك جدتي، تصعد الست هويدا، تسخن جدتي الماء،
ضوء اللبة نمرة خمسة يكسو الست ، بيضاء، مستديرة
الوجه، خدودها مستديرة أيضا، كل حاجة فيها مستديرة،
أحضر الكراسية، تشاهد ما رسمته مع الأستاذ جمال، تدبح
جدتي ذكر البط، وتنظفه وتضعه في كيس ورقي

— بالهنا والشفاه

سألتُ هويدا

— هاتيحي تاني

ترن ضحكاتها في المكان، تطبع قبلةً على خدي

— إن شاء الله يا حسن

لأول مرة تقبلني " ست "، خدودها كانت ناعمة، بعد
خروجها بقليل أنزل مع جدتي نذهب لدكان بقالة في

شارع خلفنا، تشتري جدتي بعض الطلبات، و نرجع إلى البيت، أتمدد على الكنبه ،تقول جدتي

— ربك ما بينساش حد

— ستي .. ستي .. ما تعرفيش أبويا مات إزاي؟

— مات في الحرب اللي فانت، (تتنهد) مات وسابك لحمه حمرا

— هي أمي كانت بتحبه ليه

— لما تروح لها أسألها

— أروح ماشي على رجلي ولا أركب أتوبيس

تستبدل جدتي جلبابها الباهت بجلباب البيت

— اتخمد يا ولد

— طب احكي لي، وصلت لأمي إزاي

— صلي على النبي

قالت كلمتها وهي تدير قرص اللبنة نمرة خمسة
فيتراقص خيط رفيع من الدخان كلما تراقص شريط
الذهب ،تتمدد على سريرها

— عليه الصلاة والسلام .. ربك رب قلوب، قعدت
قدام البيت، ارتمي علىّ ضلّ، رفعت عيني، شفت واحدة
ست، حسيت أنها تعرف حاجه عن أمك، قالت لي أن أمك
في السابع وعاوزني أكون جنبها وهي بتولد، لبست
هدومي وسافرت معاها على مصر، وقلبي بيغلي نفسي
أمسك أمك من شعرها وأمسح بيها الشارع اللي هي فيه،
بس أوصل لها، لاقيت أمك تحت في الشارع، أول ما
شفتني قالت

— " أمه "

قالتها بشوق يا ولد .. قلبي خاني، بكره تتجوز وتخلف
وتعرف يعني إية قلبك يتحرق على ضناك، أخذتها في
حضني، بطنها لقدام وساقطة لتحت، عرفت إنها حبلى في
ولد، سألتها هربت ليه قالت .

— كنت خايفة تجوزيني لحد من أولاد اعمامك .

سكت و أحنا طالعين السلم .. كان أبوك " مرزوع " علي
الأرض بياكل، أول ما شافني، جري علىّ، ابوك "
حلنجي " أهلا يا أمه .. حمدا لله على سلامتك، رفعت
إيدي ولسعته بالقلم، صرخت أمك

— ليه يا أمه

حط إيداه على خدة وقال

— سيبيها هي زي أمي برضوا

نزل من البيت، ما أعرفش إيدي جابت العصا منين
ونزلت على أمك وفين يوجعها

— ليه يا ستي

— كان نفسي افرح بيها، أملا إيدها بالحنة وألبسها
الفستان الأبيض والطرحة وألف على البيوت، أخبط على
البيان وأدعي الناس .. استحملت أمك الضرب، ساعتها
عرفت أن المزغودة بتموت فيه

— المزغودة مين يا ستي

— يوووه .. أمك .. أمك كانت بتحب أبوك مع أنه
كان بتاع نسوان

— يعني إيه

— لما تكبر هتعرف .. في يوم اتخانقوا مع بعض
ورمت هدومه من الشباك ده، نزل لم الهدوم وقعد قدام
البيت للصبح طلّعوا سوا، سألها عني، قالت له نايمه ..
يومين جاءتني وشها في لون الدم، والدموع بتسح من
عينها، رمت رأسها على صدري وقالت

— بيخوني يا أمه، كل يومين ثلاثة مع واحدة شكل

— ادي اللي هربتني عشانه

— دلوقت معاه واحده في الدكان

— أنا هاروح له

كنت يا حسن طول الطريق أفكر أعمل أيه مع أبوك،
اشتريت الخزانة اللي أنت بتتضرب بيها وأنا ماشيه،
دخلت الدكان وش أبوك جاب ميت لون، كان باللباس
والفائلة

— حماتي !!

زعت فيه

— خرج المره اللي عندك

جريت الوليه، عارف كانت مين .. صاحبة أمك اللي جاتني البلد، سحبت الخيزرانة من سيالة الجلابية ونزلت عليه وفين يوجعك وهو بيطنط، نفسه يلبس الجلابية ومش مدياه الفرصه، حلفت عليه لازم يطلقها وما يدخلش البيت، زاغ من تحت ايدي شد الجلاب من على المسمار

— مش هادخل البيت، بس مش هطلقها

قعد يجي أسبوع .. عشرة أيام، مش فاكراه، كل ليلية أسمع عياطها، كل ما أروح الدكان ألاقيه قافل .. في يوم بعد العشاء، لاقيت ست بتنادي علينا، سألت أمك تعرفي واحدة اسمها أم سميرة، قالت لا، طلعت الست، قعدت مكانك كده على الكنبه، قالت لأمك تعمل شاي، وأنا عقلي بيودي ويجيب، مين الست دي .. من البلد .. لا.. ولا شفتها في السوق .. مش عارفه .. يمكن جارة .. قالت الست إن المدعوق أبوك قاعد عندهم وهي بتتوسط

له عشان أمك تسامحه وأنه مش عاجز يطلقها لأنه
ببيحها، وأنا ماسكة على قلبي لازم يطلقها، جاءت أمك
بالشاي وقالت

— واللي في باطني يا أمه

— " مَوو " في عينك، ربنا يأخذك .. دا كان مخبي
مرا تحت البنك .. سيبه .. ابنك به أو بغيره هيتربي

قالت أم سمير

— هاتي ملعقة سكر يا حاجة

رحت أجيب سكر، أنا باقول لنفسي يمكن تقول لأمك
حاجة، سمعت صوت رجل

— والله بحبك، سامحيني

ضربت صدري

— يا ابن الكلب عامل واحدة ست

— هو مين

— المدعوق أبوك مسكت الخيزرانة ونزلت عليهم
لسوعه، استخبي ورا أمك وأنا نازله ضرب فيهم هما
الاثنين، نط من على الكنية ناحية الباب

— والله ما أنا مطلق

أمك بتعيط من لسعة الخيزرانة، فتحت باب الشقة
وقعدت

— مش هتدخل طول ما أنا عايشه

— طيب، خدي فلوس الولادة والسبوع

— ربنا يغنيننا عن فلوسك

قلد أبوك صوت قط

— وحياء أمك .. تعمل قطة .. تعمل كلب .. تعمل
حمار مش هتشوف ضافرها يا نجس

سألت جدتي

— هو نجس عشان بيحبها

— لا عشان بتاع نسوان ..

النوم سلطان، حسيت برجله بتخطي من فوق رجلي،
إيدي بتحسس علي الأرض تدور على الخيزران،
مالقتهاش، الست أمك كانت مخبياها ورا ظهرها، سمعت
صوت باب اوضتهم بيتقفّل، سلمت أمري لله ،بعد أسبوع
جرينا بأمك قرب الفجر وسيادتك شرفت، قبل الظهر
كانت أمك بتقابل وجه كريم ،خد أبوك العزاء وقعد يعيط
ساب الدكان، باع اوضة النوم وسلم الدكان لصاحبها وقال
لي

— جالي استدعي في الجيش، اصرفوا من الفلوس دي
لحد ما أرجع

اشتريت كام فرخة وكام ديك، خد من التل يخلت، خلصت
الفلوس لولا الكام طيره اللي بربيهم كنا موتنا من الجوع
.. قالوا أبوك مات هناك في سينا مع كل اللي ماتوا
هناك، كانت وكسة كبيرة قالوا عليها إيه .. إيه .. اللهم
صلي على النبي .. آه قالوا نكسة ، بعدها حالنا انتكس ..
قالوا لك معاش ما يأكلناش عيش حاف

(٣)

بالكاد وافقت جدتي على زهابنا إلى بيت شكولاتة، وقفتُ
تحت العمارة، صعدتُ إلى الطابق السابع، السطح واسع،
ناديتُ

— حمدنا .. حمدنا

خرج لي رجل ، أكثر سوادًا من حمدنا وطويل جدًا،
أصلع وباقي شعر رأسه أبيض، عيناها حمراوان في يده
زجاج خمر، يرتدي لباس طويل حتى الركبة وفانلة نصف
كم كلمني بلهجة سوداني

— إنتِ عاوز مين

— حمدنا

جاء صوت حمدنا من خلفي

— حسن صاحبي..

اختفي أبو حمدنا في الحجرة الوحيدة في السطح، بسط
حمدنا حصيرة على الأرض، خلع " شبشبه " سند ظهره
للسور

— تعال اقعد يا حسن .. شفت ستك تحت

— أبوك شبه عفاريت ستي

— عفاريت ستك !!

— عفاريت حكايات ستي .. هو عينه حمرا ليه

— زي ما أنت شايف الإزارة في إيده ليل نهار

— قل لي واجب الحساب والعربي عشان الأستاذ
علوي ..

يقاطعني حمدنا

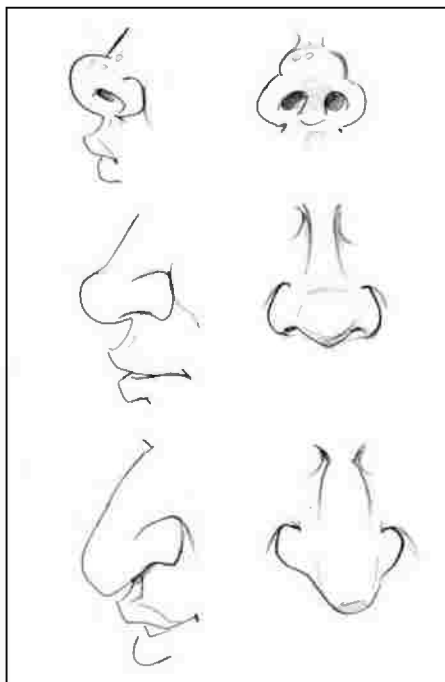
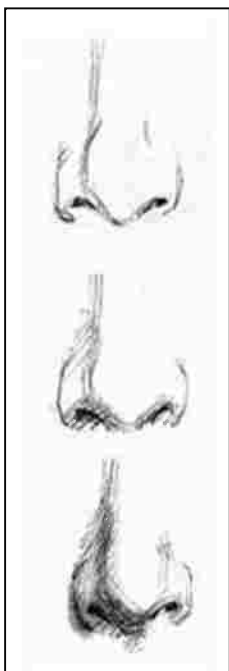
— الأستاذ علوي نقلوه وجاءت مكانه أبله آمال

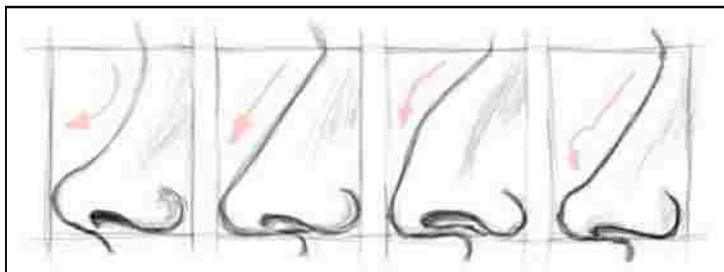
عند عودتنا، قلت لجديتي

— أزور الأستاذ جمال

أخذت الكراسية من البيت وذهبت إليه، قال الاستاذ

— النهاردة هنرسم الأنف .. المناخير يا حسن منها
الحادة ومنها المفطحة ومنها التخينة ومنها المنمنة
والطبيعية





رجعت إلى المدرسة أبله آمال حلوة، وجهها يضحك حتى
وهي بتزعق .. طول الحصص بتصرخ .. " بس يا واد
.. بس يا بنت "

قال جمال لأبيه وأنا ارسم ..

عندها أربع بنات وحامل .. نفسها في ولد .. بس عندها
ضمير في الشرح

مثلما رجعت المدرسة رجعت لدروس الحج شوقي، كلما
خرج من حجرة، أنط من الشباك — شقته في الطابق
الأرضي — عند المواسير ينتظرنني شكولاتة، نجري إلى
الأرض الواسعة، نقعد نلعب كرة حتى المغرب، نرجع،
أنتظر أحمد صاحبي، أعلم على الواجب وأرجع إلى
البيت

في مرة نطيط من الشباك، رأيت الحج شوقي أمامي،
أمسكني من قفاي ورجع بي إلى الفصل - الحجرة -

— يا ابن العفريت، أنا هاعلمك تزوغ إزاي، الفلكة يا
أحمد.

لف صبيان الحبل حتى " اتزنقت " رجلي بين الحبل
والعصا، انهال الحج بالخيرزانه على رجلي وأنا اصرخ
وأتلوى مثل قرموط السمك في الماء، احسست ؟ نفسي "
هيتقطع " فكوا " الفلكة " صرخ فيّ الحج

— أجر يا حسن في مكانك

جريت في مكاني فخف الألم قليلاً، صرخ الحج

— أمشي

جريت إلى البيت، رميت نفسي في حضن جدتي، مسحتُ
دموعي بباطن يدها، استحممت ونمت، ثاني يوم ذهبـت
إلى المدرسة بعد عودتي سألتني

— ليه ضربك الحج شوقي

اخترعتُ حدوته، كلمة من الشرق وكلمة من الغرب، وفي
منتصف الحدوته

لسعتني بالخيزرانة

— بتزوغ يا ابن الكلب، هو أنا ناقصة وجع قلب ..
عوزاك تتعلم عشان تبقي مهندس زي ما أمك قالت، ولا
عاوز تبقي نجس زي أبوك

أجري لحجرة الفراخ، صرختُ

— لو بيضه انكسرت ولا دُست على كتكوت هأقصف
رقبتك

تجري خلفي

— أوعي كتكوت تحت رجلك

أقلت منها، اختبئ تحت السرير، الدموع بتجري على
خدودي، تحاول ضربي، أدافع عن نفسي بالكرتونة،
يغلبنى النعاس .

صوتها يرن في أذني

— الفطار يا حسن، عشان تروح المدرسة

أرفع دماغي لأعلى " اتخبط " في السرير، تذكرتُ أين أنا

— هتضربيني

— لا

— لا ، هتضربيني،أحلفي برحمة أمي ما هتضربيني

— والله ما هأضربك

— لا ، هتضربيني،أحلفي برحمة أمي ما هتضربيني

— ربنا أحسن من أمك

— أحلفي برحمة أمي وربنا لتحلفي

— ورحمة أمك ما هأضربك ، بس أوعى تزوغ ثاني

قلت وأنا أخرج من تحت السرير

— أبله آمال كويسه، مش عالوز أروح للحج، كل
حاجة عنده ضرب بيخليني أكتب الصفحة عشر مرات،
لحد صوابعي ما توجعني، تفتح ذراعيها، تحتضني،
تقبلني ، لأعرف لماذا بكينا .

(٤)

عمال في البيت من الصبح حتى بعد صلاة العصر،
يحملون الطوب والزلط، أفرح بتلال الرمل في الشارع،
اتدحرج عليها، باب شققتنا مفتوح، يطلبون من جدتي
الشاي، يأتون لها بالسكر والشاي حتى الجاز، إذا فسد
الوابور يذهب أحدهم به إلى السمكري يصلحه ويعود به،
فاذا طلب أحدهم افطار أعدته من الفول والبيض
والطعمية، كانت تأخذ ثمن الفطار أما الشاي فترفض
وتقول

— لولا الحال ما كنت أخذت مليم

تنادي على جدتي، اطلع إليها

— مش هتاكل يا حسن

— عاوز العب شوية النهاردة الجمعة

— مش كفاية ما صليتش الجمعة، كل وبعدين، انزل

العب

— عندك اية

— رز وفاصوليا

اتناول الطبق من يدها، اقعد على السرير، أسمع أصوات
في الشارع، أترك الطبق، أطل من الشباك، أنادي على
ستي

— فيه سكان جداد .. رجل ومراته وبنته

تأتي جدتي وتشاركني النافذة، العمال يفرغون، الأثاث من
السيارة، أفرغ من الأكل، أحمل كراستي واذهب إلى بيت
الأستاذ جمال، تفتح أخته الباب، ينزل جمال من الطابق
العلوي إلى حجرة الجلوس، يدخلن سيجارة يتأمل رسمي..

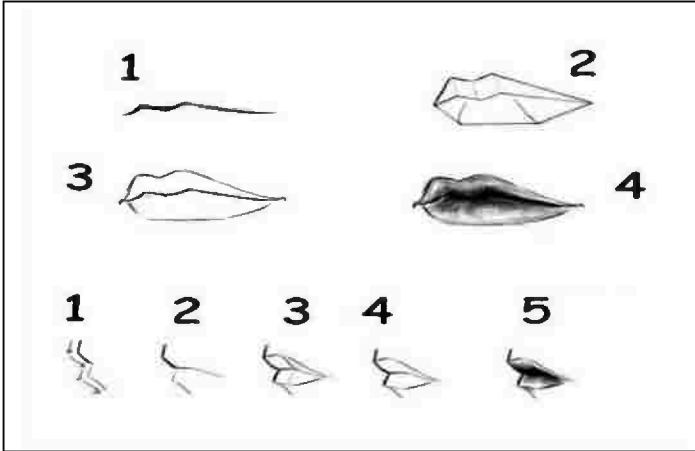
— جميل يا حسن .. رسمك للعين ممتاز وكمال
عرفت تحافظ على المسافات كويس ورسمك للرموش
حلو جداً أنت يا واد هتبقى فنان كبير .. أخبار المذاكرة
ايه

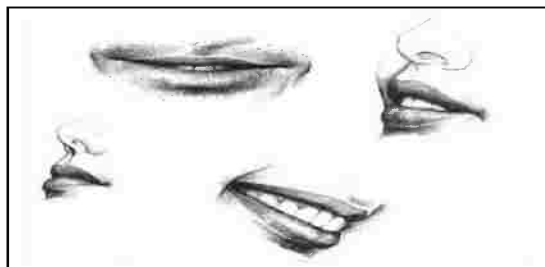
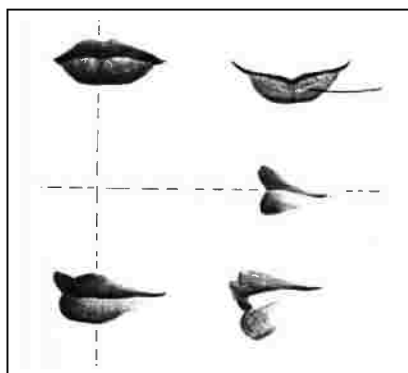
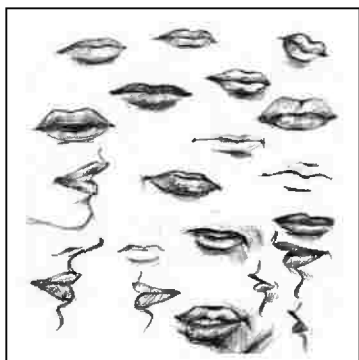
— ماشية .. أبله آمال بتحبني وبتصلح الغلط، بس
ساعات بتصرخ فيّ

يضحك

— النهاردة هنتعلم رسم البُق (كلمة البُق مش لطيفة ممكن الناس تقرأها البُق عشان كده اكتبها الفم ألطف) الفم والشفاف، زي العيون ما فيها عيون واسعة وعيون ضيقه وعيون طالعة لبره شوية بتلاقي الفم الصغير .. الكبير .. والشفاف الرفيعة والشفاف التخينه

باختصار كل واحد له فم غير الثاني





سألت جمال

— يا أستاذ جمال بيتكم ما في هوش عيال ليه ؟!

توقف عن الرسم والكلام بص لي بنظره لا أعرفها،
ثم أكمل كلامه

— بص يا حسن، أخويا متجاوز وعایش معانا هنا، هو
ومراته بيحبوا بعض بس ما ينفعش يخلفوا عيال وهما
مبسوطین كده، كمان أنا وأختي ما تجوزناش لحد دلوقت
.. بطل أسئلة ارسوم

فتح الأستاذ جمال الشباك وبص منه على الشارع، يدخن
سيجارة وراء سيجارة حتى انتهت علبة السجائر سألني

— رسمت إيه

لأول مرة أرى حزن في عينيه وصفحة دموع
مسجونة خلف صوته، مسح على شعري وقال

— رسمك حلو يا حسن، روح النهاردة، أنا تعب
شوية

(٥)

رجعت من المدرسة والدموع تبلل خدي، ألقيتُ الحقيبة
على الأرض

— ستي .. ستي

تركتُ ما في يدها، ضمتني لصدرها واللهفة على وجهها

— مالك يا حبيبي

— أبو حمدنا مات

— مات إزاي

— يقولوا قعد يشرب خمرة لحد ما دماغه راحت منه
، طق في رأسه يمشي علي حرف السور بتاع السطح ،
قعد رايح جاي ، عجبته الحكاية ، ركب السور حصان ،
بدأ يسب ويشتم ويزعق للناس اللي في الشارع ، وهو
بيرفع الإزاة ياخذ بق ، كانت الإزاة فاضية ، رفعها و
بيميل برأسه لورا ، وقع ، نزل زرع بصل في الشارع
ومات

— الله يرحمه .. أنت زعلان علشان الرجل مات

— لا، زعلان علشان حمدنا هيمشي ويرجع بلدهم.

تمسح دموعي بكفها، تقبلني، تضمني لصدرها، تخرج من
جيب جلبابها شلن

— رُحِ اشترى لك إزارة سينالكو وباكو بسكويت، بس
عدي على الجيران الجدد

— الست هويدا

— لا الست هويدا تلاقىها نايمة هي وجوزها، بتصحى
على العصر .. أنت فاكِر الراجل ومراته وبنته

— آه اللي في البيت علي الصف اللي قدمانا

— الله يفتح عليك، طلبوا عشرين بيضة

تضع طبق بلاستيك ملفوفاً بقطعة قماش في يدي وتضع
في جيبي الشلن

تفتح الباب امرأة، صغيرة السن، أنفها غليظ، عيناها
ضيقتان

— ستي أم حسن باعته لك عشرين بيضة

تمسك الطبق من يدي

— أوعى تكون كسرت بيضه .. أقعد لحد ما أعد
البيض .. يا مقصوفة الرقبة هاتي طبق البيض

تأتي بنت، شعرها أسود، بيضاء، عيناها زرقاوان

— اتفضلي يا خالتي

أسأل صاحبه الأنف الغليظ

— يا حاجه، هو أنت مش أمها

أجابت البنت

— لا .. دي امرأة أبويا

تلكزها الست في كتفها

— هنحكي حالنا للناس، أمشي أدخلي جوه، وأنت أقعد
على بسطة السلم لحد ما أفرز البيض

الباب موارب، رفعت عيني، البنت الحلوة، اتربعت على
الكنبة، امسكت بطبق " تنقي " الأرز، الست بتعد البيض،
سألت البنت

— أنت في سنة كام

بصت لي الست بغيط، قفلت الباب بشدة

— ما تخليك في حالك يا مفعوص

— مفعوص إيه، أنا في سنة تلتة، هو حرام اتكلم

من خلف نافذة (الشراعة) الباب رأيت البنت تحرك
أصبعين من أصابع يدها، أحصت الست " أم مناخير "
البيض

— روح لستك، الاستاذ فرحات وهو راجع هيعدي
عليك

في ساعة العصري جاء الأستاذ، باب الشقة مفتوح، أنا
منهمك في عمل كرة شراب لألعب بها في الصالة

— يا ساطر

هكذا قال الأستاذ، تخرج جدتي من المطبخ، يسألها

— بيت الحاجة أم حسن

تجفف يدها في طرف طرحتها

— أيوه

— أنا جاركم الأستاذ فرحات جاي عشان حساب

البيض

— اتفضل

دخل الأستاذ، طويل، نحيف، يرتدي بدله مثل بدل

الموظفين مد يده وسلم على قائلاً

— أنت حسن

أهز رأسي بالإيجاب، ينفلت سؤال من لساني

— أم بنتك فين؟

— ماتت، عشان كده اتجوزت واحدة تانية، عشان
تخلي بالها من البنات وأنا في الشغل

— بس مراتك الجديدة دي يا ساتر

تلسعني جدتي بكفها على ذراعي

— يا مقصوف الرقبة أنت مالك

يمسك الأستاذ الكرة

— بتحب الكرة

— أنا حريف

— طيب وريني

أبدأ في استعراض مهاراتي في ضرب الكرة بقدمي "
تنطبق الكرة " ثم على رأسي، يمسك الكرة بيده ويبدأ في
تكرار ما فعلته، ثم زاد بمغازلة الكرة بكتفه ورأسه ثم
ترك الكرة وقال

— الحساب أهو يا حاجة .. اسمع يا حسن أنا
وصحابي ببلعب كل يوم جمعه في الساحة إल्ली ورا
المشثل بعد صلاة العصر ما تيجي تتفرج

— أنا بلعب هناك .. أأ قصد ساعات

يحاسب جدتي ثم يصافحها وينزل السلم، تتهمك جدتي في
إعداد الطعام ينفلت من لسانها

" الللي من غير أم حالته تغم" أحمل الكراسية وأذهب إلى
بيت الأستاذ جمال، تفتح أخته الباب

— يا جمال .. يا جمال حسن جه

تهمس في أذني

— أنت زعلت جمال المرة الللي فانت

أهز رأسي بالنفي

— أصله قعد يدخن سجائر لحد ما نام

حكيتُ لها ما جرى، هزت رأسها

— لو بتحب جمال ما تسألوش تاني عن العيال، لأنه
لو اتجوز مش هixلف، ومراة أخويا محمد عارفه أن أحنا
الثلاثة مش بنخلف ، عشان كده عمر البيت ده ما هيكون
فيه عيال

— طب إيه يعني دي العيال دوشه

— أصل مريم اللي كان بيحبها جمال سابته عشان
الموضوع ده لو بتحب جمال ما تجبش سيرة أني كلمتك
..اتفقنا

— اتفقنا

يدخل جمال في يده سيجارة وكوب شاي

— قل لي يا جميل أخبارك إيه

— بص أنا رسمت إيه

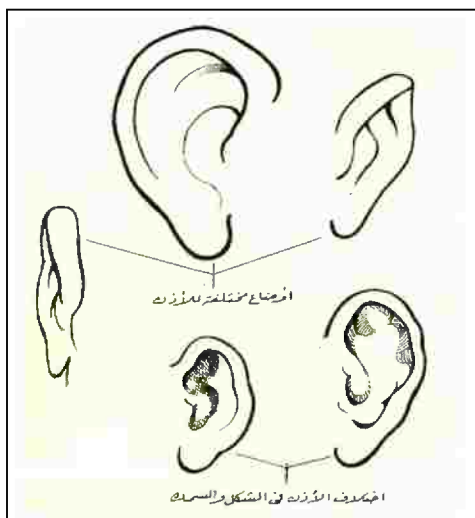
يقعد بجواري على الكنبه، يثني إحدى قدميه يضع عليها
الكراسة، يتأمل الرسم وهو يدخن

— يا ابني أنت فنان .. فنان

— الفم رسمته بفن، الودان عاوزه شوية فن ، يعني
 في ناس ودانهم زي ودان الأرنب ، تحس أن لها سن من
 فوق وناس ودانهم زي ودان القرد كبيرة و مطرطقه لبره
 "

(يرسم وهو يتكلم) وفيه ناس ودانها ملتصقة من تحت
 بتقول عليها ودان ملتحمة .. وفيه ودان عادية زي دي

يمسك ودني فضحكت.. رسم وجه ثابت لكن الأذن
 مختلفة في كل صورة قعدنا نرسم في الكراسية، ألقى
 الأستاذ جمال بالكراسية



— عارف يا حسن لما ما تلاقيش حد يحبك وتحبه
يبقى الموت أحسن

قالها وهو يتأمل الجدران ثم نفث الدخان

— تعال نرسم على الحيطان

— نرسم بآية

— سهلة

رفعنا بعض الصور من على الجدران، أزحنا الكراسي و
الكنب إلى منتصف الحجرة، رسمنا وجوها كثيرة، لأول
مرة أتأمل الوجوه منها .. وجوه حزينة .. وأخري
ضاحكة .. وجهان عاشقان وجه امرأة عجوز .. وجه
شيخ .. وجه طفل، على أحد الجدران بدأ جمال في رسم
وجه كبير لوجه بنت حلوة .. نسي كل ما حوله .. يدخن
سيجارة وراء أخرى، لم يشعر حتى بدخول أخته، همست
لها

— والله ما قلت له حاجة

قبلتني وأنا أردف

— دي مريم مش كده

تهز رأسها، تضع كوب الشاي بالقرب من الألوان، جمال
يتحرك لوحده ، ودماعه مسافرة خرجت بعد الكوب
الشاي السابع ، واربت أخته الباب وشارت لي بالخروج،
همست

— أنا ماشي يا أستاذ جمال

دماعه مع الوجه الذي يرسمه، كأنهما يتتاجيان

— مع السلامة .. مع السلامة

رفعت وجهي لأرى وجه أخته، كان وجهها حزيناً، عيناها
في لون العسل، ولونها في لون اللبن الحليب، شفتاها في
لون العناب سألتها

— هو أنت اسمك إيه

ابتسم وجهها قليلاً وهي تجيب

— ماجدة

(٦)

في أول يومين من إجازة نصف السنة سافر حمدنا إلى أسوان .

أخرج بعد الإفطار مع جدتي نشترى أشياء للبيت، نذهب إلى السوق ونظل هناك حتى يقرصني الجوع نرجع، أكل أي حاجة، شوية بطاطس محمرة مع باذنجان مقلي، كشري بعدس أصفر، بصارة، "شوية" خضار مع "شوية" أرز، أكره الباذنجان المخلل وأحب البامية مع اللحم الضائي وقليلًا ما تطهيبها جدتي تأمرني جدتي بحراسة الأكل من الفراخ، التي تجري في طول الشقة وعرضها طول النهار ، بين العصر والمغرب ، تتمدد جدتي على سريرها ، أضع الحذاء الكاوتش تحت إبطي وأسير على أطراف أصابعي ، أقفل الباب "بشويش" خالص ، أنزل حتى باب البيت أقعد على الأرض، ألبس الحذاء، أطيّر إلى الساحة الأستاذ فرحات حريف كرة بجد ، ألعب كرة في الساحة أو تريك تراك أو ألعب بلي، على المغرب تجمع جدتي طيورها وتحبسهم في أقفاص في الحجرة ،تقفل عليهم باب الحجرة ، بعد المغرب أمر على بيت أبو جمال ، ساعات أشتري حاجات لماجدة أرجع لأرسم ،

جمال مازال يرسم على نفس الجدار صورة مريم ، كل
يوم يقعد يرسم كأني غير موجود ، نمت وهو مازال
يرسم ، صحيت في نصف الليل ، "مخضوض " كنت نائم
على الكنبه واللمبة السهاري ترمي على نور مرتعش ،
أنادي

— ستي .. ستي . عاوز أشرب

— فز قوم، فالح تنام عند الناس، الرجل شالك على
قلبه لحد هنا

— مين .. جمال

— أيوه

أسير ناحية الزير .. أشرب وأذهب لسريرها

— ستي عاوز أنام جنبك

— نام على الكنبه بتاعتك

— فيه عفريت نام مكاني

— ما عفريت إلا بني آدم

— لو بتحبي أُمي نيمينى جنبك

— تعال

أنعس فى حضن جدتي إلى الصبح .

أنتهى العمال من بناء الدورين، ساعدوا جدتي فى نقل الأثاث للدور الأخير ، بَدَل المعلم سيد نظام الشقة، حجرة الضيوف أصبح لها بابين، باب خارجى وآخر داخلى يفتح على الصالة، فى هذه الحجرة تربى جدتي طيورها ، والباب الخارجى الآخر يطل على الصالة، ومنها ندخل إلى الحجرة الأخرى، ممر صغير يفصل بين باب المطبخ والحمام، أيقظتني جدتي، أهرب من صوتها

— كمان شوية

يطير النوم من عيني متسائلاً إلى أين سنذهب؟ نسير فى الشارع الخالى من الناس تقريباً، تقابلنا الست هويدا قبل المشتل بقليل، ترتدى نظارة شمس كبيرة، تنزع النظارة، حول عينيها لون أزرق غامق وأثار أصابع على وجهها، تسألها جدتي

— خير أن شاء الله، صاحبة بدري

— هو أنا نمت ، أنا لسه راجعة من الشغل

— شغل إيه

— أنا باشتغل مع ديدي هاني الممثلة، أنت عارفه
الناس دول ليلهم نهار ونهارهم ليل

— الدبلة مش في إيدك

— الله ياخده، أطلقت يا أم حسن، بعد ما شفته بيسرق
أسورتي في التبلوه (البلاتوه) ولما استتجدت بالناس
ضربني ٠٠ مدام ديدي وقفت جنبي وما خرجش من ،
التبلوه إلا وهو مطلقني ٠٠ الناس يا أم حسن لما أقول
لهم إني باشتغل مع مدام ديدي هاني يطمعوا ويفتكروا إن
معايا شيء وشويات

تقاطعها جدتي

— ما حدش عارف الخير فين كله قسمة ونصيب

تواصل الست هويدا الحديث والدموع تضوي في عينيها،
تربت جدتي على كتفها

— ربنا يهدي سرك

نفترق، تصبح جدتي على أبو عصام صاحب المشتل

— صباحك فل يا أم حسن

يواصل رش الزرع بالخرطوم، ينبح شبل، يهزذيله و
يتجه نحوي، أمسح على رأسه ، يتبعني بضع خطوات،
يسمع صفير أبو عصام فيرجع جرياً، بعد المشتل
بشارعين، نقف أمام محل كبير فيه أشياء كثيرة " كراكيب
" .. أوراق .. مراوح .. دولايب .. تلفزيونات ..
ثلاجات .. بين هذه الأشياء يجلس المعلم على كرسي
خيزران، تلقي عليه جدتي السلام، يزعق على الفور

— وعليك السلام، كرسي يا ولد لستك أم حسن

يشير بطرف شيشته نحوي

— أنت حسن

أهز رأسي، تكلمه جدتي

— مش هاوصيك يا معلم عليه

— هيسرح مع واحد طيب ، المعلم عبد العظيم ، رجل حافظ القرآن من التسجيل ،طول النهار، يشغل شريط الكاسيت ميت مرة لحد ما يحفظ .. تصدقي الأسبوع اللي فات حفظ سورة مريم

ينادي على عبد العظيم، يأتي نحونا رجل طويل بجلباب بلدي واسع، على رأسه طاقية " شبيكة " يسأله المعلم

— مش محتاج حد يحرس " التروسيكل " بدل ما الحاجة تتسرق منك .

يرفعني عم عبد العظيم إلى قلب التروسيكل الفارغ ثم يدفعه، بقفزة واحدة يركبه، يحرك بقدميه البدال، نعبر مزلقان بولاق إلى المهندسين، في شارع السودان، يركن المعلم التروسيكل موازياً للرصيف، بمجرد نزولي

— حَبر التروسيكل عشان ما يجريش

أبحث عن أحجار، أضعها خلف العجلات الثلاث، على
بعد خطوات نصّبه شاي خلفها شاب صعيدي (أبو باسم)
بجوار النصبية أحجار الرصيف يستعملها الرجال كمقاعد،
ينادي المعلم

— يا أبو كرم طبقين فول وطبق سلطة وعيش

— للقول رائحة طازجة، السلطة شرائح من الطماطم
والبصل، اقطع لقمة من الرغيف الفها كأذن قطعة وفي
حرص ألا تقع حبات الفول المهروسة على الأرض،
يغمزني المعلم قائلاً

— سم الله

بعد الإفطار يضع أبو باسم كوب شاي بالحليب، يسأل
المعلم

— ابنك

— لا .. صبي بيشتغل معايا

— كله على الله .. (يسألني) أنت مش في مدرسة

— أنا في سنة ثالثة، بس أحنا في اجازة نص السنة

— أبوك بيشغل إية يمكن نعرفه

— أبويا مات في الحرب وأمي ماتت قبله

— أنت عايش مع مين

— ستي أم حسن بتربي فراخ وبتبعها

يجلس أبو باسم القرفصاء أمامي، ينفث دخان السيجارة
بعيدا عني، يضع يده على ركبتي

— اسمع يا ..

— حسن

— اليومية اللي تخدها من المعلم عبد العظيم، اصرف
نصفها وحوش نصفها

أهز رأسي بالموافقة

— شاي النهاردة عندي عشان خاطر أبو علي

المعلم يضعني داخل التروسيكل قائلاً

— أوعى يا حسن من أي حد يقول لك تعال نروح هنا
ولا هنا، أو حد يدريك حاجة وتخذها وأنت ماتعرفهوش
يرتفع صوته مجلجلاً

— روبابيكيا .. روبابيكيا .. روبابيكيا

البيوت في المهندسين تختلف عن بيوتنا ، حتى الشوارع
ملونه بالزرع والاسفلت .. شوارعنا ملونه بالتراب
والمطبات الوجوه مختلفة، العيون صافية، " الشفاف "
تضحك حتى رائحة العرق مختلفة، عيوني تحلق في
الهواء ، تحط على الشرفات والنوافذ ، الناس في
المهندسين ترمي حاجات كثيرة ، الستات تجادل المعلم
حول السعر ، يرفض أشياء ويشترى أشياء أخرى، مع
آذان الظهر "يركن" التروسكيل بجوار بائعة خضار
يصحبني إلى داخل المسجد ،لأول مرة أدخل المسجد ،
الهواء رطب ، يثلج الصدر ، أبص للسجاجيد ، والنجف
المدلي من السقف ،المراوح العمودية بجوار المنبر ترش
الهواء حولها أتأمل الرسومات على الجدران أقرأ الآيات
في أعلى الجدران، أسير على ممر خشبي ، يعلمني
المعلم الموضوع

— نغسل اليدين ثم المضمضة ثلاث مرات ثم ...

أقف بجواره في الصلاة يصح وضع يدي

— اليمين فوق الشمال يا حسن

نواصل الطواف، صوت عبد العظيم يطارد أبواق
السيارات، يحط فوق أوراق الشجر، يلتصق على النوافذ
الأبواب مردداً

— روبابيكيا .. روبابيكيا

كل يوم أصحومبكراً، بعد الإفطار وتنظيف حجرة الطيور
و جمع البيض، أجري في الشارع ، عند المشتل أرى
أبوعصام وزوجته و أحياناً لا أرى سوى شبل ، الذي
يجري نحوي يلعب معي ثم يرجع إلى المشتل ، يسألني
عم عبد العظيم عن أخباري ،أسأله

— يا معلم هو أنت عندك عيال

— أيوه وعندي مراتي وبحبهم قوي ، علشان كده
بشتغل واتعب

ندور في شوارع المهندسين ، يسمع دائماً القرآن من الكاسيت ماركة ناشيونال مربوط بحبل رفيع في يد التروسكيل، وقت الغداء نذهب إلى أبو باسم نتعدى جبن أبيض ملح خفيف مع حبات طماطم وخيار و لوحالة الشراء والبيع حلوة ، ندخل مطعم في أول شارع غريب، المؤدي إلى ميت عقبة ، نتعدى خضار و أرز ونشتري أي فاكهة ثم نواصل الدوران نرجع قبل المغرب، نخزن البضاعة ونفترق عند المشتل ٠٠ لم أذهب و لو لمرة واحدة لبيت الأستاذ جمال كنت أرجع أتعشى وأنام، انتهت إجازة نصف العام، رجعت إلى المدرسة مرة أخرى، جلس أحمد بجواري مكان حمدنا ، أحمد شاطر جداً يذاكر معي في الفسحة ، أخيراً وجدت وقت للذهاب إلى بيت جمال ، ألقيت حقيبتني على الأرض ، حملتُ الكراسة والقلم الرصاص، بثياب المدرسة ذهبت إلى هناك، أحلم برؤية صورة مريم كاملة على أحد الجدران، تسمرت عند الباب الخارجي، سلسلة من الحديد تنتهي بقل كبير وورقة نتيجة مكتوب على ظهرها " سافر الحاج أبو جمال وأولاده إلى السعودية " بكيث لرحليهم، لم يخبرني جمال أو ماجدة، جلست أمام الباب، الدموع تبلل خدي، الكراسة بين أصابعي يهزني الحزن، عدت

إلى جدتي، ألقيت برأسي علي صدرها الناشف، يدها
تمسح على رأسي قائلة

— من يومين عدى جمال عليك، وأنت في الشغل قلت
له إنك بتشتغل، مشي و ما قالش حاجة ، بس كان
مهموم، وأنا نسيت أقول لك ، لو قال لي أنهم مسافرين
كنت قلت لك ..

فتحتُ الكراسة ، أكتب

" إلى صديقي جمال، أنا أحبك .. بحبك جداً تعرف ليه
.. أنا مش عارف ليه .. كان نفسي أرسم صورتك، كان
نفسي أرسم صور أبويا وأمي .. كان نفسي أشوف
صورة مريم ، هي حلوة لأنك بتحبها ، ماجدة أختك قالت
أنك بتحبها ،أصل ما فيش واحد بيتجوز بنت إلا إذا كان
بيحبها فيها إية لو أتجوزتم وعشت معاكم ، هو يعني
ضروري تجيبوا عيال واحد كان كفاية ، آه ممكن تكون
هي مش بتحبني ، كان نفسي أشوف صورة مريم و ... "

نمتُ وأنا أكتب الجواب، أحسست بيد جدتي وهي تسحب
الكراسة من تحت يدي، قلت لها بصوت ناعس

— سببها

غلبني النوم، صحيت على صراخ بنت الأستاذ فرحات،
نزلت جدتي السلم وهي تلف طرحتها السوداء على
رأسها، وأنا في ذيلها، في الشارع كانت الست هويدا
وستات من ساكنات الشارع يتجهن إلى الشقة ، نزلت
الست هويدا " خبط " على الباب فلا مجيب دفعت ثلاث
نسوان الباب مرة وراء أخرى، حتى انفتح الباب، في
حجرة النوم البنت مربوطة بحبل غسيل في رجل
السريّر، منكوشة الشعر، الدموع تبلل خديها، أسرع
هويدا بفك قيد البنت، انهالت بعض النسوان ضربًا على
زوجة فرحات، زعقت جدتي

— اربطوها مكان البنت

البنت في حضن هويدا تتفلت الحروف من فمها

— إ .. ي .. د .. ي

لطمت هويدا خديها مذعورة

— دي حرقت يد البنت . أنا هأروح بها القصر العيني

في تلك اللحظة وصل الأستاذ فرحات، ضم البنات إلى صدره، أنزوت زوجته في ركن من أركان الحجرة، نظر إليها

— أنت مش بتخلفي، كان ممكن تكوني أمها

— لكن دلوقتي مستحيل يحصل .. أنت طالق .. طالق

صرخت الست كأن أبوها مات، لطمت خديها، شقت جلبابها، نكشت شعرها، قالت الست هويدا لجدتي

— الولية اتجننت

أشاحت جدتي بوجهها

— " كوهن " نسوان

عشش الصمت في الحجرة، الأستاذ فرحات يدخل السجائر، الزوجة تبكي، بلا توقف، جدتي تدهن يد البنات بمرهم الحروق، أحضرته إحدى الجارات، النسوان يتسللن واحدة، وراء أخرى، حتى الست هويدا

— سامحيني يا أم حسن .. لقمة العيش بتناديني

لا أدري متى جاء رجل، يرتدي جلباب صعيدي وعمامته
ملفوفه على دماغه، وجهه يحمل نفس أنف زوجة
الأستاذ، انفلت لسان الأستاذ يشكو للرجل، فإذا به يجيب

— ما توصل إلى الطلاق

— لو بنتك اللي اتحرق إيدها كنت هتعمل إيه

— بس أنت هتخسر

أجابت جدتي

— الخسارة القريبة أحسن من المكسب البعيد (التفتتُ
إلى الأستاذ فرحات) .. ربنا يفرج ضيقك بفرج تستعجب
له " المخلايق " يا فرحات يا ابن حوا وآدم

قال الرجل

— ما ردتش يا أستاذ فرحات

— أحنأ أقارب .. لكن بنتي بالدنيا

— ومؤخر الصداق

— قلت لك بنتي بالدنيا واللي تقبله أقبله فيه رب يحكم
بيننا في الآخرة

اتجه الرجل للبنت

— لمي "خلافاتك " (بص للأستاذ) حقها يوصلها لحد
باب الدار أنت عارف الأصول يا فرحات .

من يومها ما شفتش البنت، كان نفسي أسألها عن اسمها
وفي أي مدرسة، بعد أيام، جاءت سيارة نقل كبيرة،
حملت كل العفش وأغلقت الشقة، قالت لي جدتي

— الخلو دفعه فرحات في مؤخر الصداق، والباقي
اصحابه في الشغل عملوا جمعية .. بس اللي محيرني إن
الست هويدا باعت أسوره تعبان بفصوص عشان يكمل
فرحات باقي المؤخر .

على ضوء لمبة الجاز، فتحت الكراسة على الطبلية، على
صوت شخير جدتي رسمت البنت .. البنت الحلوة ..
البنت التي لا أعرف اسمها

(٧)

ناعسٌ أنا في حضني جدتي، النوم يرخي جفوني، سمعتُ
صوت جدتي

— بسم الله الرحمن الرحيم .. مين

صوتها آت من عالم بعيد، أسمع في نبرته ذعرها، دفعتُ
الغطاء، وضعتُ رأسي على الوسادة، تحركت في حذر،
أحضرت الخيزران من خلف باب حجرتنا أخذت في يدها
اللمبة نمرة خمسة، الأرض العارية شديدة البرودة،
بصيص الضوء يخلق مساحة من النور، تحركت خلفها
على مسافة تسمح لي بالرجوع قبلها إلى الفراش،
تجاوزت الصالة، صوت قادم من حجرة الفراخ والبط،
حين دفعت باب حجرة الطيور زعقت ...

— أنت مين ..

على ضوء اللمبة المحمولة في يد جدتي رأيت شبحاً
لرجل، يرتدي القميص والبنطلون، يلف وجهه في كوفية،
أخرج سكيناً أشار بها صوب جدتي، سلطت الضوء على
يديه المزينة بالخواتم

— أنت بتعمل إية هنا

هددها بالسكين

— آه هو أنت ..

قالتها وهى تمسك السكين

— أنا ما بخافش

سحب السكين من يد جدتي، فصرخت ألماً، كان الرجل خفياً أمسك باللمبة قبل أن تقع من اليد الأخرى لجدتي، حمل كيساً ثم نفخ فيها فانطفأت وساد الظلام، فتح باب الحجرة المؤدي إلى السلم، وخرج، تكومت جدتي على الأرض زعقت في بصوت مرتعش

— يا واد يا حسن .. هات كيس البن من "النملية "

حملتُ اللمبة السهاري، أسرعْتُ إلى النملية، فتحت علبة الشاي، ثم علبة السكر، أخيراً عثرت على علبة البن، أنين جدتي يطاردني، جريت إليها، على ضوء اللمبة قالت بصوت ضعيف:

— حط البن علي صوابي .. ابن الكلب بيخبي
البضاعة عندنا في أوضة الفراخ ويجي ياخذها، و أحنا
مش هنا

— هو مين يا ست

— الحرامي يا وله .. أنت بتعيط ليه، خليك راجل يا
حسن .. هات لي بق ميه، الكوز على الزير ألتقطت
أنفاسها اتكأت علىّ حتى سريرها، مسحت دموعي بكفها،
سألتها

— هو الحرامي هيرجع تاني

— مش هيقدر يحط رجله هنا تاني

— ليه يا ستي

— سره انكشف ، هيدور على مكان تاني يخبي فيه
بضاعته

— هو أنت تعرفيه

— نام يا حسن الصبح له عينين

جاء الصبح مثلما يأتي كل يوم ، يغسل البيوت من تراب
الظلام ، يمسح عن العيون أثر النوم ، يصحي الأدمغة
الثقيلة ، أهبط السلم لأحمل " الدراو " ، والبرسيم " ، التي
يلقيها عم نعيم الذي اتفقت معه جدتي أن يورد لنا كل
يومين كام حزمه من البرسيم وحزمتين دراو - ذرة
خضراء لأكل الطيور -

— تعرف تشيل قدامي قفص الفراخ

وهذا يعني أن جدتي هتروح السوق، الشوارع خالية إلا
من القليل، نلقي التحية على السائرين

— العواف

— الله يا عافيك يا أم حسن

— سلام عليكم

— وعليكم السلام ..

أعبر المواسير ثم نلف حول قطار البضاعة كأنه لم
يتحرك من مكانه، نعبر السكة الحديد، تحط جدتي القفص

بجوارها في انتظار الاتوبيس الذي يحملها إلى المنيب،
تمسك يدي، تعبر بي شارع السودان

— تروح المدرسة على طول، إذا تأخرت أوعى تمش
لحد ما اجي

تأخرت جدتي جداً، لم يبق غيري أنا وعم زكي

— سنك أتأخرت قوي يا حسن وأنا كمان تأخرت على
عياالي تعال أروحك، ولما تيجي هتعرف إنك روحت

— بس هي قالت لي استناها لحد ما تيجي

— يا ابني أكيد فيه حاجة . تعال نروح البيت، أكيد
هنعرف حاجة وإذا ما عرفناش أي خبر، نرجع على هنا

.

مشينا لحد السكة الحديد، لاقيت، أبو عصام، ينتظرني

— تعال يا حسن سنك عاوزاك

— هي فين

— عند ناس عيانيين في المستشفى

تهامس مع عم زكي، الذي ضرب كفا بكف قائلاً

— لا حول ولا قوة إلا بالله

يتبعنا شبل ، يزعق فيه أبو عصام

— ارجع أقعد عند المشتل لحد ما أراجع

المستشفى مزدحم بالناس، سمح لنا حارس البوابة
بالدخول

— مستشفى إيه دي يا عم أبو عصام

— أم المصريين

ندخل أحد العنابر فيه عشرات الأسرة، يتجه بي أبو
عصام إلى أحدها، صوت مرتعش وضعيف ...

— حسن .. ح .. س .. ن .. ح .. س .. ن

أفزع لرؤية جدتي، مغمضة العينين، جافة الوجه، وجهها
ملفوف بشاش غرقان ميكركروم، مرتخية الأطراف،
أناديها

— يا ستي .. يا ستي .. إيه اللي حصل

صوت الممرضة من خلفي

— موتوسيكل خطبها وهي مروحة

يسألها أبو عصام

— حد مسكه أو خد نمر الموتوسيكل

— الموتوسيكل كان من غير نمر والواد اللي خطبها

جري وزاغ ما حدش عرف يمسكه

— تلاقيه خاف من المسئولية

— لا الناس بتقول إنه كان قاصدها .. هي حاولت

تهرب من الخطبة وقعت ورأسها جاءت على سن
الرصيف

— لا إله الا الله

أقبل يد جدتي، تفيق من غيوبتها

— ح .. س .. ن .. ح .. س .. ن

— أنا هنا

أحرك يدها على وجهي، تفتح عينيها، تبتسم، تحرك
أصابعها بالاقتراب

— الحرامي .. صَلْتُ .. عيل من عياله، عشان ما
أقولش عليه

— هو مين يا ستي

— المعلم سيد .. المعلم سيد .. عرفته من الخواتم اللي
في إيدته .. ما تخافش يا حسن .. الحمد لله أنك بخير .. آه
.. دماغي بتوجعني يا حسن ..

أقبل يدها ورأسها، تنفرج شفتها عن ابتسامة رضا،
تتجمد ملامح الوجه

— ستي .. ستي

تقترب الممرضة

— ستك نامت، روح وتعال الصبح

— كانت بتكلمني .

— رَوْح وتعال الصبح

تهز رأسها لأبي عصام، ضمنني إليه، ربت علىّ ، تضع
المرضة في يده مفاتيح جدتي

— تعال نروح البيت ونرجع الصبح .. لا إله الله ..
إنا لله و إنا إليه راجعون .

أواصل البكاء خلال السير، يستأجر أبو عصام سيارة
أجرة، أسئلته لا تتوقف

— أنتم لكم أقارب

— ما أعرفش غير ستي

— طيب حد بيزوركم

— لا

نصل إلى المشتل، أقعد قدامه على الكنبه وشبل نائم تحت
قدمي، تقدم لي أم عصام العشاء، جبن أبيض وشرائح
طماطم، أكلت حتى غلبني النوم، شعرت بشخصٍ ما
يبسط علىّ غطاءً .

صحيت على صوت ناعم، أفتح عيني نور الفجر مازال
أبيض

— أنت نايم كده ليه يا حسن

أعتدل جالساً، الست هويدا قدامي

— ستي في المستشفى

تخرج أم عصام

— أنت تعرفيه

— أيوه أحنا جيران

تهمس لها بخبر لا أعرفه، تهبط هويدا بجواري، تحتضن
رأسي وتقبلها

— يا حبيبي يا حسن

تكلمها أم عصام

— شنطة مدرسته جوا، رَوحيه دلوقتي ، دوري في
البيت يمكن نوصل لحاجة

— ما تيجي معايا

— أخط حاجة على رأسي وأجي

تسيران أمامي .. يتبادلان خيط الكلام

— دي مفاتيح كانت متعلقة في رقبتها

— يعني الواد ده هيبقي لوحده

— ربك موجود

عند باب البيت سألتني الست هويدا

— قل لي يا حسن دي مفاتيح البيت

أمسك المفاتيح

— دا مفتاح الباب وده مفتاح الشقة

يصعدان معي حتى شقتنا، تفتح أم عصام الشقة، تنظر
لحجرة الفراخ

— حد كان هنا يا ست هويدا، كان بيدور على حاجة

— البيض متكسر والفراخ مذعورة .. بسم الله ما شاء
الله كل دي طيور ..

تدخل هويدا حجرة الجدة تشير لصورة أمي

— مين دي

— دا جمال عبد الناصر

— يا واد الصورة الثانية

— دي أمي الله يرحمها

— سنك بتشيل حاجتها فين

أنحني و أجر الصندوق من تحت السرير، تفتح أم عصام
الصندوق، تنظر لهويدا.

— دا كفنها، حتى الليفة والصابونة وإزارة الكولونيا
طيري ببهم على المستشفى لحسن يشتروا لها أي كفن،
سابق عليك النبي.

في قاع الصندوق وجدت هويدا .. دبلة ذهبية وسلسلة
رفيعة تنتهي بـ " ما شاء الله " رقيقة فسألتنني

— أبوك اسمه إيه

— علي

— يبقى دول ميراثك من أمك الدبلة عليها اسم أبوك
.. سنك كانت بتلبس دهب

أهز رأسي نفيًا تعلق المفاتيح في رقبتني

— طيب، خليه معاك لحد ما نرجع على العصر ما
تروحش بعيد

تنادي هويدا على بائع الفول، الذي يسير في الشارع في
هذه اللحظة، تشتري فول ولبيلة بعد قليل جاءت إحدى
الجارات، بأرغفة عيش، يغادران الشقة، أتناول إفطاري
وحيدًا، حولي الدجاجات والوز والبط والأرانب، أمسك
كراستي وقلمي الرصاص، تذكرت صوت جدتي

— أوعي تسيب باب الحمام مفتوح، لحسن يموت فيه
كتكوت أقفل الباب والشباك.

أهش الفراخ إلى حجرتها، أقفل الباب، أخذ كراستي
وأخرج إلى الشارع، نساء مرتديات السواد يقبلنني،

الدموع في عيونهم، يتسابقن في الخروج إلى الشارع،
إحادهن تقول

— ارجع يا حسن

أقف في مكاني، تغيب النساء عن عيني، أواصل السير،
تقودني قدمي إلى بيت الأستاذ جمال . أقف أمام باب
البيت الموصد .. ربما يأتي أحد ويحملني إلى الأستاذ
جمال لألقي برأسي على صدر ماجدة وأقول لها

"خذوني لأعيش معكم .. ستي ماتت .. الناس فاكراني
صغير .. ومش فاهم .. عارف أنها مش هترجع .. أصل
لما كنت اسألها عن أمي، كانت تقول

— يا ابني اللي بيموت ما بيرجعش

أنا هأقعد لوحدي، معايا الفراخ، هأحط لهم الأكل والميه
كل يوم، " أبيت " عليهم أقفل عليهم كويس، عشان لا قطة
ولا فار ولا عرسة تدخل لهم، في الصباح ألم البيض، لما
العلبة الصفيح تنملي، أكشف عليه، البيضة اللي تغطس
سليمة واللي تعوم على وش الميه تبقي فاسدة، بس مين
اللي هيشيل الققص الكبير ويروح بيه السوق .. أنا ممكن

أَقُول لعم نعيم يحط القفص على عربته الكارو ويوصلني
إلى سوق بولاق .. بس أنا خايف في الليل يجي الحرامي
.. يقتلني زي ما قتل ستي .. قتل ستي .. قتل ستي .. "

II

أغلقتُ الكراسية، أغمض عيني ، أتذكر ما جري.

بعد دفن أم حسن، رجعتُ أبحثُ عن حسن ورأسي تفكر
كيف سيعيش؟ ومع من؟ سألتُ طوب الأرض عنه
حتى أخبرتني امرأة

— كان رايح ناحية بيت أبو جمال

تصف مكان البيت ، اخطف رجلي إلى هناك، حسن نائم
قدام البيت المغلق، حملته على كتفي، كان يبكي وهو نائم
وعلى لسانه ..

— قتل ستي .. قتل ستي

وقعت كراسية على الأرض، ناديت ولد ماشي في
الشارع، فوضعها في يدي، حرارة حسن مرتفعة، بالكاد
أخذ نفسي، ما صدقت وضعته على السرير، خطفت
رجلي إلى بيت أحدي الحكيمات، الساكنة في المنطقة،
وضعت الترمومتر تحت إبطه ضربت صدرها

— أجري به على استقبال مستشفى بولاق أو القصر
العيني

على عربة كارو حملته حتى " المواسير " ربنا قدرني
أعبر به إلى المهندسين، استأجرت تاكسي إلى مستشفى
القصر العيني، اتصلت بمدام هايدي وقلت لها حكاية
حسن، في أقل من نصف ساعة، كان أطباء الاستقبال
يفحصون حسن، شمال ويمين، قال أحدهم

— الولد تعرض لصدمة عصبية شديدة

— هحاول ننزل درجة حرارته عشان كده خطر عليه

نحيف الجسد، ناصع البياض ، شاحب الوجه ، أصفر
الشعر ، غائب بين أيديهم ،و..

أفتح عيني على صوت الولد يخرجني من شرودي

— .. جمال .. ستي .. البنت .. هويدا ..

فرحت أنه قال اسمي، الدموع انفرطت من عيني، أقبل
جبينه " ملهلب "

— يا نور عيني

أجري إلى دكتور الاستقبال، شدته من الباطو، كان
طيب وابن حلال طاوعني، وضع يده على الولد صرخ
في الحكمة

— حطيه تحت الدش بسرعة

انتفض حسن تحت الدش، صرخ من كل قلبه

— ستي .. ستي .. ستي

يده تضرب الهواء .. تلفه الحكمة في ملءة، تضعه على
السرير .. تنزل درجة الحرارة، ساعة ساعتان، ثم ترتفع
مرة أخرى

همست لي الحكمة وهي تضع روشة الدكتور في إيدي

— خدي ابنك وروحي.. ماحدش عارف سر سخونته
إيه لحد دلوقت

انقبض قلبي .. بكيت كأنه ابني .. مسحت دموعي،
روشة الدكتور فيها خافض للحرارة

مع نور الفجر بصيت للسماء، دعوت ربنا أن الولد يخف،
وينتقم من المعلم سيد .. ما صدقت إن النهار فتح عينيه،
رجعت إلى البيت، من التعب نمت حتى العصر، صحيت
على طرق الباب، فتحت الأستاذ فرحات، تواريت وراء
الباب

— دقيقة واحدة يا أستاذ فرحات

سُتِرت نفسي بجلباب بيتي، أضأت نور الصالة

— اتفضل

— أنا آسف أنني جاي من غير ميعاد

أخرج من جيبه ظرف بني

— دي فلوس الاسورة اللي بعتيها .. مالك

احكي له، يتحرك حسن في الفراش منادياً

— .. ستي .. ستي .. ستي ..

أجري إليه

— مالك يا حسن

— عطشان .. فين ستي .. أنا فين

— أنت عندي .. أنت مش عارفني

— آه .. أنت الست هويدا

— تأكل يا حسن

قالها فرحات وهو واقف عند باب الحجرة، يسأله حسن

— ستي قالت إنك طلقت الست أم مناخير

أحضر كوب الماء، يشربه حسن دفعة واحدة

— الميه حلوة قوي ..

— أجيب لك تاني

يهز رأسه نافياً

يفتش حوله، متسائلاً

— فين الكراسية

أحضرها من على طاولة السفرة، على ضوء اللمبة
النيون، ينهمك حسن في الرسم، ينادي على فرحات،
يقترّب من الفراش، يبص في كراسة الرسم والولد يسأله

— تعرفها

يضحك الرجل

— حد ما يعرفش بنته

— أنا أشوفك مرة واحدة ممكن ارسمك على الغايب

يضمه ل صدره ويقبله ويقول

— بالليل هأجيب بنتي ونزورك

— هاتها تلعب معايا .. ما تتجوز الست هويدا بدل

الرجل اللي كان بيضربها

كان نفسي أقول له يا ريت .. الكلام انحبس في حلقي
على صوت فرحات

— كله بإذن الله .. امشي لحسن أتأخرت على البنات

— هاستناكم

قالها حسن

— أوعى تنام لحد مانجي

فور خروج فرحات، خلعت الجلباب، أجري إلى الثلاجة،
أخرج الفاكهة والجبن الرومي والجبن الابيض فرشت "
جورنال " وضعت الصينية قدام حسن، أجلسته نصف
جلسة، ووضعت خلف ظهره الوسائد قلت له

— لما تحب ترسم .. ترسم مين

رسم ولد في مثل سنه، قال إنه صاحبه اللي سافر
أسوان، ثم سألني

— هي أسوان فيها مدارس ..

— طبعا

يقضم السندوتشات ويواصل الرسم، يسألني تعرفيه

— أيوه بس ما أعرفش اسمه

— الأستاذ جمال

— أيوة صح بس كان تايه عن بالي

ورسم جدته

— تعرفي مين دي

— أيوه الست أم حسن

أغرورقت عيناه بالدموع، تنساب الكراسية من يده، يرتمي
في حضني باكيا

— قتلها الحرامي .. قتلها المعلم سيد .. مش عاوز
أرجع الشقة هيقتلني .. هيقتلني

— أنت هنا مش هيقدر يجي جنبك ما تخافش

يرتعش خوفاً

— عاوز أروح عند بيت الأستاذ جمال ..

— أقعد ما تخافش

— المعلم سيد ممكن يضربك زي ما جوزك يضربك

وديني عند الأستاذ جمال

— الأستاذ فرحات جاي ومعا بنته •

— طيب ممكن نودي الكراسة بيت الأستاذ جمال

— البيت مقفول وهما مسافرين

ينخرط في البكاء، اربت عليه

— تيجي معايا

يحتضني، فرحت لأن حسن قدر يمشي على قدميه مرة
أخرى، "أخبط" على جيران أبو جمال، صاحب البيت
موظف في شركة بيع المصنوعات، يخرج لنا، أحكي
القصة، بعدنا إذا جاء احد من أهل جمال سيخبرنا

الفرحة ترقص في عين حسن

— عارفه أنا رسمت إيه وأنت بتعملي الغدا

— مين

— صورة مريم

— مريم !!

لم أخبره أنني قرأت الكراسة، فحكي لي عن مريم و أنا
أتابع صوته، قلبي يحدثني أن يرسم صورته، انتفض الولد
مذعوراً ، عند مرورنا، أمام بيت المعلم سيد، أتابع
نظرات حسن، المعلم سيد يغادر سيارته ويحيط به عدد
من صبياناه

الحمد لله أن المعلم لم ير الولد، الذعر يمتلك حسن
يرتجف بشدة تصطك أسنانه، أحمله على كتفي، يهمس لي
مذعوراً

— المعلم سيد .. المعلم سيد هيدبحني

اربت عليه

— ما تخافش أنا هاكلم فرحات يجي بيات معانا .. ما
تخافش .. بعدين ربنا شايف كل حاجة و هينتقم منه .

نصل إلى البيت، أخذت دش بسرعة و دماغي تفكر،
أحضر فوطه، أجفف عرقي، أدخل حجرتي، حسن متكوم
في ركن فوق السرير وعليه كل الأغطية، أسرع إليه

— تفتس يا حسن ..

الحرارة ارتفعت مرة ثانية، يرتعش الولد .. أجري في
الشارع ... أصرخ

— دكتور . دكتور

امرأة تستوقفني وأخرى تضع على جسمي جلباب

— أرجعي يا بنتي .. الناس هتجيب الدكتور

الجلباب لمس جسمي، كنت بقميص النوم، طلبت كوب
ماء، شربت رشفه، قعدت على حجر

— مش هاطلع إلا والدكتور معايا

جاء الدكتور مع رجل من أهل الشارع، دخلنا الشقة،
كشف الدكتور على حسن سألته

— نوديه المستشفى

أغلق حقيبته، تأمل خافض الحرارة ثم أردف

— مالوش لزوم

ما زال حسن يردد

— ستي .. ستي .. ستي

قبل أن يغادر الطبيب البيت، صرخت من كل قلبي، عاد
لكتابة تصريح الدفن ..

يد فرحات تربت على كتفي ، تضم ابنته الكراسة إلى
صدرها وصوت من بعيد

" روبابيكيا.. روبابيكيا" يليه تجويد القرآن

تمت

مصطفى سليمان

أغسطس ٢٠١٣ - ديسمبر ٢٠١٣

السيرة الذاتية



مصطفى سليمان

- مصطفى محمد أحمد سليمان
- مواليد ١٩٦٧
- بكالوريوس العلوم والتربية ١٩٩١
- عضو اتحاد كتاب مصر
- عضو نادي القصة

● إبداعه

١. امرأة من سراييفو (رواية)
٢. حكايات الأستاذ كنتوت (رواية)
٣. كلاب جائعة (رواية)
٤. هاتف النبوءة (قصص قصيرة)
٥. بارباروسا (رواية)
٦. الغيوبة (رواية)

- تحت الطبع
- مغرب الشمس (رواية)

- النشر
نشر في العديد من المجلات والكتب منها : حواء
/مجلة القصة/ مجلة المحيط الثقافي/جريدة الحياة
اللندنية/الحياة المصرية /المساء/وغيرهم من
المجلات والصحف

- الجوائز
١. المركز الثاني في مسابقة جماعة الأدب العربي
بالأسكندرية ١٩٨٩ عن قصة " اللص "
٢. المركز الثالث في مسابقة إحسان عبد
القدوس ١٩٩٣ عن قصة " ثنائية الصمت الحزين "
٣. المركز الثاني في مسابقة نادي القصة ٢٠٠٢ عن
رواية " حكايات الأستاذ كتكوت "
٤. المركز الثالث في مسابقة نادي القصة ٢٠٠٢ عن
قصة " العصا " .

